مسلك تاريخ وحضارة وتراث

الفصل الثالث

كلية الآداب

جامعة السلطان مولاي سليمان

بني ملال

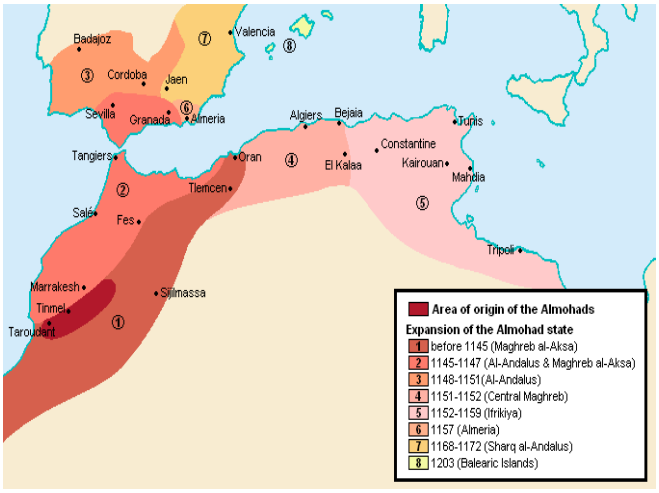


# مطبوع المغرب الإسلامي في العصر الوسيط

الدكتور محمد حقي

الموسم الدراسي 2026/2025

# بيبليوغرافيا

## 1-المصادر


1- ابن عبد الحكم عبد الرحمن، فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964.

2- الرقيق إبراهيم بن القاسم القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، دار العرب الإسلامي، بيروت، 1990.

3- ابن عذاري، المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 2، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983.

4- ابن عذاري، البيان المغرب، ج4 وقسم الموحدين،

5- ابن أبي زرع علي الفاسي، الأنيس المطربدار المنصور، الرباط، 1973.

6- الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، المطبعة الملكية، الرباط، 1991.

7- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية،

8- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/1406م)، العبر وديوان المبتدإ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،7أج، نشر خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1988.

9- ابن الخطيب، أعمال الأعلام أو تاريخ إسبانيا الإسلامية، ج1 وج2، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

10- البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، 1857.

11- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 11م، دار المعارف، مصر، 1967.

12- ابن الأثير محمد بن علي عز الدين، الكامل في التاريخ، مراجعة محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.

13- النويري، أحمد بن عبد الوهاب، (ت 732هـ/1332م)، تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، تحقيق مصطفى أبو ضيف احمد، دار النشر المغربية، البيضاء، 1985.

14- ابن تومرت، أعز ما يطلب

15- محمد بن خليل السكوني الإشبيلي، شرح مرشدة ابن تومرت

16- البيذق، أخبار المهدي ابن تومرت

17- البيذق، المقتبس من كتاب الأصحاب

18- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة

19- المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب

20- ابن القطان، نظم الجمان

21- ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن

22- النميري، فيض العباب

23- الجزنائي، جنى زهرة الآس

24- الزركشي، تاريخ الدولتين

25- الناصري، الاستقصا

## 2- المراجع

1- العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي 2أج، الدار البيضاء، 19996.

2- قبلي محمد(إشراف)، كرونولوجيا تاريخ المغرب، نشر المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب.

3- قبلي محمد(إشراف)، تاريخ المغرب: تحيين وتركيب، مطبعة عكاظ، الرباط، 2011.

4- زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية.
5- إسماعيل العربي، دولة الأدارسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
6- محمود إسماعيل، الأدارسة، مكتبة مدبولي، القاهرة.
7- سعدون عباس نصر الله، دولة الأدارسة في المغرب، دار النهضة العربية، بيروت، 1987.
8- سعدون ابن عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس
9- لوتورنو روجي، فاس قبل الحماية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989.
10- " ، فاس في عهد بني مرين،
11- العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت.
12- مؤنس حسين، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
13- مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس،
14- عبد الحليم رجب محمد، دولة بني صالح في تامسنا، دار الثقافة، الفجالة.
15- حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد، الدار البيضاء، 1978.
16- سالم سحر عبد العزيز، من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993.
17- إبراهيم خلف العبيدي، البرغواطيون في المغرب، مؤسسة النشر، الدار البيضاء، 1983.
18- محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، دار الثقافة، 1985.
19- بل ألفرد، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.
20- مسعد سامية مصطفى، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية.

21- النجار عبد المجيد، تجربة الإصلاح عند ابن تومرت

22- " " " ، المهدي ابن تومرت

23- دندش عصمت، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا

24- دندش، نهاية المرابطين

25- الحريري، الدولة المرينية

26- الحريري، تاريخ المغرب

27- زيتون محمد، المسلمون في المغرب والأندلس

28- زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي

29- لقبال موسى، المغرب الإسلامي

30- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ المغرب والأندلس

31- خلف الله، الموحدون والمشرق

32- أبو رميلة، الموحدون والنصارى

33- عز الدين عمر موسى، الموحدون في المغرب والأندلس

34- أشباخ يوسف، تاريخ الأندلس في عصري المرابطين والموحدين

35- حمدي، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين

36- منوني، حضارة الموحدين

37- شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات

38- جمال أحمد طه، فاس في عصري المرابطين والموحدين

39- عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس: عصر المرابطين

40- " " " " ، دولة الإسلام في الأندلس: عصر الموحدين

41- مسعد سامية مصطفى، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية

42- مقالات معلمة المغرب ودائرة المعارف الإسلامية وموسوعة الإسلام والموسوعة البربرية (مرابطون- موحدون- مرينيون- ابن تومرت- عبد الله بن ياسين...) ...

%


1- Brignon et autres, histoire du Maroc, Hatier, Paris, 1968.

2- DEVERDUN G ., Marrakech des origines à 1912

3- Julien Ch. A. , hitoire de l'Afrique du Nord, 3t, éd. Payot, Paris,1931.

4- Terrasse H., histoire du Maroc, 2t, éd. Atlantides, Casablanca, 1949 et 1950.

5- UNESCO , Histoire générale de l'Afrique, vol.3.


%

## محاور البرنامج

تمهيد: المغرب عشية وصول المسلمين

1-المغرب في ظل الحكم الأموي

1-1-الفتح الإسلامي

1-2-عصر الولاة

1-3-ثورة المغاربة

2-المغرب المستقل: عصر الإمارات

3-المغرب في عهد الإمبراطوريات البربرية/الأمازيغية

3-1-المرابطون

3-2-الموحدون

3-3-المرينيون

3-4-نظرة على خصائص الدول المغربية الوسيطية

خاتمة

**عروض**

1-تدين البربر/الأمازيغ

2-نظرة عن حكام المغرب قبل الإمبراطوريات

3-المذاهب الدينية في المغرب الوسيط

4-علاقات المغرب بالأندلس

5-مراكش عاصمة المغرب

## التمهيد

## المغرب عشية الفتح الإسلامي

عندما وصل الفاتحون الأوائل إلى المغرب وجدوا أمامهم بلادا شاسعة متنوعة التضاريس والمناخ ومختلفة الطبيعة عما ألفوه في بلادهم أو البلاد التي سبق لهم فتحها، والتقوا بساكنة متنوعة يهيمن عليها العنصر البربري بلغته التي لا يعرفونها، ووجدوا ديانات مختلفة يغلب عليها الطابع الوثني، أما سياسيا فقد وجدوا بلادا شبه مستقلة عن الدول الكبرى ومنقسمة بشكل شديد مما سيصعب التحكم فيها.

### 1- أرض المغرب:

إن الحديث عن المغرب في فترة الفتح يطرح مشكل تحديد مجاله بشكل دقيق، فالمصادر العربية تورد تحديدات تختلف حسب الفترات الزمنية ويتحكم فيها التحديد الجغرافي (جهة الغرب)، وأهم ما ميزها هو حركية وتغير الحدود الشرقية بالخصوص. فقد كانت في البداية تشمل كل أراضي شمال إفريقيا بما فيها مصر(البيان المغرب ج1، ص.5)، وبعد فتحها بدأ الحديث عن الأراضي الواقعة غرب النيل من ناحية الإسكندرية (البيان المغرب ج1، ص.5)، بل أكثر من هذا ففي عهد هارون الرشيد كان المغرب يطلق على كل الأراضي الواقعة غرب نهر دجلة (مناسبة تقسيم الإمبراطورية بين ابنيه الأمين والمأمون). وبالرغم من هذا الاختلاف فقد كان التحديد الثاني الأكثر تداولا واستعمالا وهو الذي سنأخذ به.

وينقسم المغرب إلى أربع وحدات: أرض برقة وطرابلس وإفريقية (المغرب الأدنى) وبلاد الزاب (المغرب الأوسط) ثم المغرب الأقصى (بلاد السوس الأقصى والأدنى). وسيتطور تعاملنا مع هذا المجال تبعا لمحاور البرنامج إذ سنتناوله في البداية كاملا ثم يبدأ في التقلص ليقتصر في الأخير على المغرب الأقصى.

ينقسم المغرب طبيعيا إلى قسمين: مجال شمالي ضيق يغطي حوالي العشر من البلاد، ومجال جنوبي شاسع.

فالمجال الأول يمتد من سواحل إفريقية الشرقية إلى المحيط الأطلنتي ليغطي ما يعرف بالمجال الريفي- الأطلسي، وهو حديث التكوين (الزمن الجيولوجي الثالث) يغلب عليه طابع الارتفاع إذ يتجاوز معدل الارتفاع 2000م ويتناقص الارتفاع تدريجيا في اتجاه الشرق والجنوب. ويضم جبال الريف والتل ودرن والهضاب العليا في الجائر والسهوب التونسية والهضاب الأطلنتية في المغرب وأشرطة سهلية على سواحل البحر المتوسط وسهولا واسعة في الواجهة الأطلنتية. وتخترقه أودية كبيرة وعميقة تساهم في تقطعه وعزلة بعض مناطقه. ويسود به مناخ متوسطي يختص بالرطوبة والموسمية والتقلب، شتاؤه بارد ومطير وصيفه

جاف حار وقاس، ويعرف فترات جفاف دورية تخلف الاضطراب وعدم الاستقرار. ويوفر غابات ومراعي جيدة في الجبال والسهول.

أما المجال الثاني فهو شاسع جدا ويختص بقدم تضاريسه وبنيته (الزمن الأول)، ويغلب عليه طابع الانبساط بسيادة الحمادات والمنخفضات الصحراوية دون أن يخلو من بعض المرتفعات مثل الهكار وتبلسي. ومناخه صحراوي جاف، وتندر به عناصر الحياة من ماء ونبات مما يجعل الاستقرار به صعبا جدا باستثناء الواحات.

يساهم تنوع المؤهلات الطبيعية في انتشار أنماط اقتصادية واجتماعية في المغرب. ففي الوقت الذي نجد زراعة مستقرة في السواحل الشمالية والشرقية وبعض الأودية في الجبال والواحات، تمتد على مجالات واسعة حياة ترحال وتنقل موسمية وراء القطعان بحيث ينتقل الرعاة صيفا وشتاء بين الجبال والسهول المجاورة أو بين المناطق الداخلية والسواحل المتوسطية أو بين هوامش الصحراء الشمالية ووسطها. وتوفر هذه الأنماط موارد متنوعة للسكان كما تسمح لهم بسرعة التحرك والمناورة.

طبيعة متنوعة فرضت تنوع أنماط العيش في المنطقة.

## 2- السكان

يعتقد كل من يقرأ المصادر أن سكان المنطقة متنوعون، لكن الحقيقة هي أن الأغلبية الساحقة منهم تتكون من البربر. ويطرح تاريخ هذه المجموعة إشكاليات متنوعة.

أولا، التسمية:

نجهل كل شيء عن أصل التسمية مع أن هناك احتمالان: أصل إغريقي روماني ذلك أن الإغريق يطلقون هذا الاسم على كل من لا ينتمي إلى حضارتهم مع ملاحظة أن كل الشعوب تخلصت منها ولم تلتصق بها، فلماذا يشكل البربر الاستثناء؟ وأصل عربي نابع من مفهوم لغوي أو جنيالوجي (بربر: تكلم لغة غير مفهومة// أبناء بر بن كنعان).

ثانيا، الأصل: لم يعرف شعب نقاشا حادا حول أصله كما عرفه البربر حتى إن باحثا قال إنه يسهل معرفة المناطق التي لم يأت منها البربر أكثر من تلك التي أتوا منها. فقد جاؤوا من اليمن وفلسطين والهند وأوربا وجزر الكناري وإفريقيا جنوب الصحراء. وما يجمع بين هذه الآراء هو محاولتها إثبات أصل خارج عن المنطقة، ويمكن القبول به جزئيا على اعتبار أن المنطقة؛ بفعل موقعها الاستراتيجي، تلقت هجرات من كل جيرانها. لكن يجب إضافة احتمال وجود عنصر محلي قديم تطور بالمنطقة كما تؤكد الاكتشافات الأثرية (إنسان دار السلطان- الإنسان العتيري والمستيري)، واستحضار التأويلات المعقدة وغير المنطقية أحيانا والدافع الإيديولوجي الذي حكم هذه الآراء رغبة في كسب ود البربر سواء من قبل العرب المسلمين أو الفرنسيين المحتلين.

ثالثا، التقسيم:

يصنف البربر حسب نمط العيش أو الانتماء العرقي.

يميز التصنيف الأول بين البتر والبرانس. فالأوائل أساسا رحل وأغلبهم من زناتة. والآخرون من المستقرين وهم أساسا من المصامدة وصنهاجة وبعض زناتة. ويحتوي هذا التقسيم عيوبا كثيرة وهو مبهم ويصعب الأخذ به.

أما الثاني فيقسم البربر إلى ثلاث اتحاديات:

- زناتة: نفزة- لواتة- ولهاصة- مطغرة- بنو يفرن- مكناسة...ومواطنها في برقة وطرابلس والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى (من ممر تازة حتى المحيط الأطلنتي والأطلس المتوسط).
- صنهاجة: كتامة- لمتونة- مسوفة- جدالة- لمطة ... ومواطنها بشرق المغرب الأوسط (القبائل) وغرب إفريقية والأطلس المتوسط ودرن الأوسط الجنوبي والصحراء.
- مصمودة: تستقر أساسا في المغرب الأقصى في درن والسهول والهضاب الأطلنتية وسوس وبعض الجزر في الريف (غمارة)، ومن قبائلها هنتاتة وغمارة وجنفيسة وهسكورة وكندافة وغمارة...

وتنقسم كل اتحادية إلى مجموعة من القبائل وكل قبيلة إلى عشائر وعظام وكل عظم إلى أسر ممتدة. وتعتقد كل مجموعة أنها تنتمي إلى جد واحد حقيقي أو وهمي، لكن الدراسات الحديثة أثبتت أن التساكن يعتبر العنصر الأساس في نمو الشعور بالانتماء الواحد لدى معظم القبائل. وتتحدد علاقاتها وفق نظام الأحلاف.

وتسير القبيلة من طرف مجلس أعيان يرأسه شيخ ويساعده رؤساء العظام. وتتخذ القرارات بالتوافق والتراضي الجماعي. ويتدخل المجلس في كل القضايا اليومية للسكان.

ويتميز نظام الزواج بطابعه الداخلي عند معظم القبائل مع صعوبة التأكيد على حق الزواج بابنة العم الشقيق للأب كما هو معروف عند العرب. وقد سجل عند برغواطة منعها للزواج بابنة العم إلا بعد مرور ثلاثة أجداد.

نظام قبلي شبيه بمثيله عند العرب مما سيسهل التداخل بين النظامين فيما بعد.

### 3- الديانة

سادت المغرب ديانات مختلفة منها ديانتان سماويتان؛ هما اليهودية والمسيحية، وديانة إحيائية وثنية مهيمنة.

فيما يخص اليهودية فمعلوماتنا عنها ضعيفة جدا، بحيث نجهل حجمها في المنطقة فلا نستطيع تأكيد أكثر من كونها وجدت في بعض المراكز الحضرية مثل وليلي وشمال الأطلس المتوسط ووسط الأطلس الكبير وبعض الواحات. ويرجح أن أول وصول لليهود إلى المنطقة كان مع أولى هجرات الفنيقيين إلى المنطقة، بينما ستصل أعداد كبيرة منهم بعد الجلاء الكبير لليهود من فلسطين على يد الإمبراطور الروماني عام 131م. وبعد استقرارهم في المنطقة استقطبوا سكانا من البربر إلى ديانتهم مما زاد من أعدادهم.

أما المسيحية فقد وصلت إلى المنطقة إما من مصر أو أوربا مع ترجيح الأولى منذ السنين الأولى للمسيحية. وكانت إفريقية من الأسقفيات التي وصل عدد المسيحيين بها إلى حوالي الثلث متقدمة على أوربا خلال القرن 3م، حيث قام القديس سيبريان بتنظيم الكنيسة الإفريقية، لكنها اضطهدت على يد الإمبراطور دسيوس وأغلقت الكنائس. وبعد تحالف المسيحية والإمبراطورية الرومانية منذ بداية القرن الرابع الميلادي توسع انتشار المسيحية بالرغم من اقتصار أتباعها على الروم ومواليهم من البربر. وخلال هذا القرن انشقت الكنيسة وظهر المذهب الدوناتي المساند للفقراء والعبيد فقمع أتباعه وقتل زعيمه سنة 355م وهيمنت الكاثوليكية. لكن وصول الوندال عام 435م إلى قرطاج جلب المذهب الأريوسي، فدخلت البلاد في صراع مذهبي مرير ولم يستطع البيزنطيون بعد مجيئهم إعادة الهدوء، فبدت الكنيسة ضعيفة ومنشقة وقل نفوذها، بل إن كثيرا من أتباعها غادروا مع البيزنطيين وأسلم آخرون خاصة من الأفارقة وبقيت قلة بعد دخول الإسلام.

تبقى الوثنية الإحيائية دين الأغلبية من البربر وتقوم على إعطاء روح لكل المخلوقات والأشياء (حيوان- نبات- جماد)؛ مما يجعلها تسمع وترى وتحسن وتسيء، وتقديس ظواهر الطبيعة المتنوعة، والممارسات السحرية الواسعة. وبالرغم من وجود بعض الآثار عن عبادة بعض الآلهة (الإله حامون= إله الخروف) في القرن 5هـ/11م في الأطلس، فإن مصادرنا خاصة الإسلامية لا تتحدث عن آلهة كانت معبودة من قبل البربر عند الفتح (يمكن التفصيل عند ألفرد بل في المرجع المذكور أعلاه).

ديانة إحيائية مهيمنة ومسيحية محدودة الانتشار ويهودية مجهولة.

### 4- الوضع السياسي

بعد قرن من الوجود الوندالي في المنطقة، عاد الحكم الروماني عام 534م في شخص الإمبراطورية البيزنطية التي اتخذت قرطاج عاصمة لها. إلا أن نفوذها لم يتجاوز شريطا ساحليا ضيقا شمال إفريقية والمغرب الأوسط بينما اقتصر وجودها في المغرب الأقصى على منطقتين محدودتين هما: طنجة وسبتة. وكانت هذه الأراضي تعيش مشاكل عديدة نتيجة صراعات الولاة وخلافاتهم مع الأباطرة واشتداد الاستغلال الاقتصادي للسكان خاصة ملاكي الأراضي الذين تمردوا وبحثوا عن وسيلة للتخلص من التبعية لبيزنطة. ونجح أحد الولاة يسمى

جريجوريوس بن نيقتاس بدعم من الكنيسة من السيطرة على السلطة والاستقلال بالبلاد وإعلان نفسه إمبراطورا عام 645م.

أما باقي المناطق فقد كانت تعيش تحت حكم النظام القبلي حيث كانت كل قبيلة تدبر شؤونها بالاعتماد على مؤسساتها، وربما نجحت هذه القبائل في خلق اتحادية خاصة في المغرب الأوسط والأوراس وجد العرب المسلمون على رأسها كسيلة بن لمزم الأوربي ثم خلفته بعد موته الكاهنة داهيا زعيمة جراوة.

حكم بيزنطي ضعيف ومنقسم على نفسه واستقلال القبائل بشؤونها، مما يعني تعدد الخصوم والأعداء أمام الفاتحين بالرغم من ضعفهم.

**خاتمة**

أرض متنوعة التضاريس وصعبة الاختراق ومتنوعة الموارد وساكنة بربرية قبلية غيورة على استقلالها ومستعدة للدفاع عن أرضها معتمدة سرعة تحركها وصعوبة بلادها ومعرفتها بها ونظام حكم متفرق وضعيف. هكذا سيجد العرب المسلمون أرض المغرب.

%

## المغرب الأموي

### أ/ الفتح الإسلامي

استغرق الفتح الإسلامي للمغرب وقتا طويلا، وتجاوز في صعوبته كل الفتوحات. وقد نتج ذلك عن عوامل مرتبطة بالخلافة وببلاد المغرب. وانتهى المجهود بضم المغرب إلى الدولة الإسلامية.

#### 1-مراحل الفتح الإسلامي للمغرب

#### 2-1-الغارات الاستكشافية

اعتبر المسلمون ولفترة طويلة شمال إفريقيا ثغرا وبلد حرب يوجهون إليه حملات خاطفة ومتقطعة تكتفي بالتجوال وجمع الغنائم ثم الانسحاب إلى مصر. وقد بدأت بعد فتح مصر وخاصة الإسكندرية سنة 21هـ/642م. وأهم الغارات:

***فتح برقة وطرابلس22-23هـ/643-644م:**

قادها عمرو بن العاص والي مصر وحصل على جزية 13 ألف دينار (يقدم فيها أبناء البلد من قبيلة لواتة)، ووجه السرايا جنوبا وغربا نحو الفزان وجبل نفوسة. ثم انسحب بأمر من عمر بن الخطاب الخليفة.

***حملة عبد الله بن أبي سرح على إفريقية عام 27هـ/647م**

قاد حملة من عشرين ألف رجل وواجه إمبراطور إفريقية المستقل جرجير في سبيطلة قرب القيروان الحالية فقتله. وتجول بالغارات في سهول إفريقية ثم عقد صلحا مع الروم للانسحاب مقابل أتاوة ضخمة (300 قنطار من الذهب أو 2.5 مليون دينار) بعد سنة وشهرين من الغزو. فعمله لم يكن "إلا غارة طويلة كثيرة الأحداث وافرة الغنيمة" (مؤنس، فتح، ص.106).

***حملة عقبة بن نافع عام 41هـ/662م**

توجهت من برقة نحو واحات غدامس وفزان وزويلة.

***حملة معاوية بن حديج 45هـ/664م**

شارك فيها عشرة آلاف مقاتل وتجولت في سهل تونس ووصلت سوسة وجلولاء وبنزرت وجربة، وحصلت غنائم كبيرة (نصيب الفارس في جلولاء 200 دينار). وبعد ما يقرب السنتين ترك البلاد وعاد إلى مصر.

الحملات الأولى استطلاعية لا تهدف إلى الاستقرار، بل التعرف على المنطقة وإضعاف الروم والغنيمة.

**2-1-الفتح المنظم**

بدأت هذه المرحلة عندما فكر المسلمون في الاستقرار في المنطقة واتخاذ مقرات دائمة وثابتة، لقد صار المشروع إدخالها إلى حظيرة الإسلام.

***حملتا عقبة بن نافع الفهري الأولى والثانية (50هـ/670م و 62-63هـ/681-682م)**

سنجمع بين الحملتين بالرغم من الفارق الزمني بينهما لغاية بيداغوجية ومنهجية محضة.

توجهت الحملة الأولى إلى شرق إفريقية كما فعل من سبقوه حيث جدد عملهم، لكنه عبر بوضوح عن رغبته في الاستقرار بالبلاد والاحتفاظ بالمكتسبات، فبنى مدينة القيروان كأول مدينة إسلامية بإفريقية. وقد غير بهذا التصرف مجرى الفتح. ووجه غارات واسعة في كل الاتجاهات خاصة الجنوب. وهو في غمرة نشاطه ونشوته بالنصر استدعاه رئيسه والي مصر مسلمة بن مخلد وعزله سنة 55هـ/675م.

انتظر عقبة سبع سنوات قبل أن يعود إلى إفريقية بتكليف من الخليفة يزيد بن معاوية بحماس أكبر وتحد أقوى ورغبة في توسع أكبر، فنظم حملته الثانية التي قادته إلى المغرب الأقصى عبر المغرب الأوسط (باغاية- الزاب- شلف- تاهرت- طنجة- السوس) فتجول في

مناطق المغرب ووصل السوس الأقصى والمحيط الأطلنتي. وعند عودته منتشيا ومعتقدا أنه قد ضم المغرب تمرد عليه كسيلة (أكسل) بن لمزم الأوربي في تهودة ببلاد الزاب وقتله سنة 63هـ. وبالرغم من مقتله، فقد نجح في توصيل خبر الإسلام إلى أقصى مناطق الشمال الإفريقي، لكن المنطقة استقلت بعد موته تحت سلطة كسيلة الذي احتفظ بالإسلام وهذا تطور مهم بالمقارنة مع المرات السابقة التي يتم فيها التراجع عنه.

***فترة أبي المهاجر دينار 55-62هـ/675-682م)**

تولى إفريقية بين عهدي عقبة، وأرسل غارات في كل الاتجاهات انطلاقا من القيروان، لكن أهم ما قام به هو التوسع نحو المغرب الأوسط بمركزه تلمسان حيث كسب ود وحلف كسيلة الأوربي زعيم التحالف الزناتي بقيادة أوربة والذي أسلم على يديه وصار صديقا له وانتقل للإقامة معه في القيروان. وبهذا الفتح زاد خطوة أخرى بالإسلام نحو الغرب.

***حملة زهير بن قيس البلوي 69هـ/689م**

كانت غايته الأولى الانتقام لمقتل عقبة فنجح في قتل كسيلة واستعاد القيروان، ثم انسحب نحو المشرق وقتل في اشتباك مع الروم في سواحل برقة. فعادت أرض المغرب للاستقلال من جديد تحت زعامة الكاهنة داهيا.

***حملة حسان بن النعمان 76هـ/695-696م**

اختلف المؤرخون حول تاريخ وصوله بين 73 و76هـ، لكن أحداث الدولة الإسلامية تجعل التاريخ الثاني أكثر ترجيحا. وتوجه اهتمام حسان نحو القضاء على عناصر المقاومة من الروم والبربر وفك تحالفها وبناء علاقة المسلمين بالبربر على أساس من التحالف والولاء. فبدأ بفتح قرطاج ووزع الغارات في كل الاتجاهات، وواجه الكاهنة في الأوراس فهزمته وطاردته حتى شرق طرابلس واستقلت بإفريقية. وبعد انتظار حوالي ثلاث سنوات (78-81هـ) عاد بقوة أكبر وخطة أمتن فدخل قرطاج وهدمها ثم اصطدم بالكاهنة وقتلها وضم جزء من رجالها كحلفاء.

ثم بنى مدينة تونس على الساحل المتوسطي قرب قرطاج عام 84هـ. ومرة أخرى لم يترك للتمتع بنصره إذ عزله والي مصر عبد العزيز بن مروان.

***حملة موسى بن نصير 85-86هـ/705-706م**

جاء لينهي عمل سابقيه فقام بحملة واسعة في كل الشمال الإفريقي خاصة المغربين الأوسط والأقصى، وقضى على كل جيوب المقاومة، وأرسل الغارات نحو صقيلية وسردينيا والواحات الصحراوية والأندلس. وبذلك أتم فتح المنطقة وضمها إلى دولة الإسلام لتصير ولاية أموية.

صار المغرب ولاية إسلامية أموية يحكمها وال في القيروان أو الفسطاط في مصر، لكن ذلك تطلب وقتا وجهدا كبيرين. فلماذا هذا البطء؟

**2-أسباب تعثر الفتح**

تفصل الحملة التي قادها عمرو بن العاص عن حملة موسى بن نصير أربع وستون سنة شهدت معارك كثيرة وقتل فيها قادة كثر وحدثت حركة مد وجزر في امتداد الإسلام في المغرب، وهذا أمر لم تألفه الفتوحات الإسلامية إلا في الهند. فما هو السر في ذلك؟

يمكن التمييز داخل أسبابه بين الخارجي-المشرقي المرتبط بالفاتحين والداخلي-المغربي المتصل بأوضاع البلاد المفتوحة.

**2-1-عوامل مشرقية**

***عدم رغبة الخلافة في المجازفة**

سجل هذا الحذر من قبل في العراق والشام، فالخلفاء لا يريدون المجازفة والدخول في حروب لم يستعدوا لها أو التوغل في مناطق بعيدة أو مناطق تفصلها بحار عن عاصمة الخلافة. وقد احتفظ المؤرخون بقولة ينسبونه للخليفة عمر بن الخطاب وجهها لعمرو بن العاص لما استأذنه في فتح إفريقية جاء فيها: "إنها ليست إفريقية، ولكنها المفرقة غادرة مغدور

بها لا يغزوها أحد ما بقيت". وسواء أكانت القولة صحيحة أم غير صحيحة فهي تعكس التردد الذي طبع اتخاذ قرار فتح المغرب. ونفس التردد سيسجل عند الخليفة عثمان بن عفان لما طلب منه ابن أبي سرح إذن غزوها حيث أمره بعدم التغرير بالمسلمين. وسيقال هذا عن الوليد وموسى بن نصير بشأن فتح الأندلس.

***بعد مصدر القرار:**

كانت عاصمة الخلافة في المدينة أو الكوفة أو دمشق وعاصمة الولاية في الفسطاط في مصر، وهذه مناطق بعيدة عن مسرح العمليات بآلاف الكلمترات مما يتطلب وقتا طويلا لنقل الأخبار وإيصال الدعم بوسائل العصر مما كان يفوت الفرص على المقاتلين. ولنا في مثال حسان بن النعمان خير مثال إذ انتظر ثلاث سنوات ليجدد الحرب مع الكاهنة حتى إن مركزا حضاريا قام في مكان معسكره عرف بآبار النعمان.

***مشاكل الخلافة والولاة**

فترة مليئة بالأزمات السياسية والعسكرية في عاصمة الخلافة والأقاليم، ومنها: الفتنة الكبرى ومقتل عثمان- صراع علي ومعاوية- خلافة يزيد بن معاوية- قتل الحسين- ثورة ابن الزبير- صراع العصبيات وممثليها من الولاة -خضوع الإدارة لنزوات الأشخاص (مسلمة بن مخلد وعقبة بن نافع- عبد العزيز بن مروان وحسان بن النعمان- موسى بن نصير والوليد). وكل هذا عطل الفتوح أو أخرها.

***ضعف خبرة القواد وجشعهم**

يلاحظ خاصة في المرحلة الأولى كثرة التفكير في الغنائم والإتاوات مما جعل الفاتحين يظهرون في أعين البربر كباحثين عن المال فقط مثلهم مثل المحتلين السابقين. كما كان بعضهم يجهل أو يتغافل عن أصول التعامل مع الزعماء المحليين (ارحموا عزيز قوم ذل)، وتحتفظ المصادر بمعاملة قاسية لعقبة التقي مع زعماء محليين (ودان=جدع الأنف/ جرمة= مشي طويل لزعيم بدين/ آخر= قطع أصبع/ كسيلة =ذبح تيس بيده)، وميز ناحية البربر لذلك

فشلت الجهود الأولى لضم المنطقة ولما فطن الزعماء العرب لذلك بداية بأبي المهاجر ومرورا بحسان بن النعمان وموسى بن نصير وغيروا معاملتهم نجحوا في كسب البربر وفتح المغرب.

## 2-2-عوامل مغربية

### *الوضع الجغرافي للمغرب

المغرب بعيد عن عاصمة الخلافة وحتى الفسطاط في مصر، والمغرب متقطع التضاريس وصعب المواصلات، ومناخ المغرب قاس في الشتاء بالنسبة للفاتحين من سكان الصحراء. وهذا يؤثر كثيرا على نشاط الفاتحين.

### *الوضع السياسي

كان المغرب في هذا الوقت منطقة تجاذب بين بيزنطة والمسلمين لذلك كان البربر يجدون دائما دعما من الروم يميل الكفة لصالحهم، كما أن الروم لم يتوقفوا عن الهجوم على المنطقة وقتل بعض القادة (زهير البلوي). وساهم انقسام المغرب بين عدة قبائل في جعل المقاومة متعددة وشرسة، فكلما هزمت مجموعة حلت أخرى محلها مستغلة التضاريس الوعرة ومعرفتها بالبلاد وكذلك سهولة تنقلها بفضل نمط عيشها القائم على الترحال.

### *رغبة البربر في الاحتفاظ باستقلالهم

هذا أمر جرب مع الغزاة السابقين ونجح نسبيا في بقاء القسط الأكبر من البلاد خارج سيطرتهم، لذلك جرب البربر هذا النهج مع المسلمين وحاولوا أن يبعدوهم بوسائل متنوعة (حرق المراعي– أتاوات- قتال).

انتهى الفتح بعد جهد وصارت البلاد أرضا أموية، فهل صارت إسلامية مسلمة؟

## 3- الإسلام والتعريب في المغرب بعد الفتح

كتب حسين مؤنس فقال: "إن المغرب القديم اختفى بأديانه ومذاهبه المختلفة وحضاراته الواهنة، وحل محله المغرب الإسلامي، أمة واحدة ذات دين واحد ولغة واحدة وحضارة واحدة وواجهة واحدة." (فتح المغرب، ص.299).

فهل فعلا أسلم الناس وانتشر الإسلام كما يفهم من هذا الكلام؟

نبدأ بالبحث عن الوسائل التي يملكها المسلمون لنشر الإسلام:

- فرض النطق بالشهادتين على كل من غلبوه أو خضع لهم مما يجعل منه مسلما بالاسم.

- تبليغ بعض التعاليم لبعض الزعماء بالخصوص.

- تعليم الناس بالمشاهدة.

- بناء بعض المساجد(القيروان- تونس- شاكر- إيجلي- نفيس- مساجد أخرى)

- استقرار بعض التابعين في مدن لتعليم الناس تعاليم الإسلام.

- ترك موسى سبعة عشر رجلا لتعليم المصامدة القرآن وتعاليم الإسلام (ابن عذاري ج42/1).

فهل تكفي هذه الأشياء لنشر الإسلام على نطاق واسع كما تؤكد القولة السابقة؟

يبدو أن كلام مؤنس يدخل في نطاق الحماس والكلام المبسط الذي لا يستند إلى واقع الأشياء والمصادر.

- إن الأفكار الدينية من أكثر الأفكار رسوخا وثباتا ومقاومة، لذلك يتطلب تغييرها وقتا طويلا وجهدا أكثر مما توفر للفاتحين.

- إن المصادر تتحدث عن أحداث لاحقة وتذكر نشر الإسلام في أوساط البربر (إدريس1 و2- المرابطون- الموحدون..)

- يرد في المصادر حديث عن عبادات وثنية في المنطقة خلال القرن 5هـ/11م (عبادة الخروف).

- إن التعليم بالمشاهدة مس فقط فئة قليلة من الزعماء أو الجنود أو الساكنة التي تقع على ممرات المواصلات، أما المناطق الداخلية فربما لم تسمع حتى بمرور الفاتحين.

- مرت حركة الفتوح فقط في الطرق الرئيسة والمدن أما المناطق الداخلية والبوادي فقد ظلت بعيدة عنها وعن تأثيرها.

- الأغلبية إن لم يكن كل السكان تجهل العربية والفاتحون يجهلون الأمازيغية، فكيف سيتم التواصل بشكل واسع مع السكان؟

يبدو من خلال هذه الأمور أن انتشار الإسلام ما زال في بدايته وكل ما يجب الأخذ به هو أن المغرب صار من الناحية السياسية مسلما وأن الباب صار مفتوحا لانتشار الإسلام، لكن ذلك سيتطلب قرونا وجهودا كثيرة.

ونفس الشيء ينطبق على العربية إن لم يكن أكثر، فحضورها سيقتصر على الحواضر وفي أوساط الموالي ومن يحتك بالعرب مباشرة، أما الأغلبية الساحقة فستجهلها وستبقى بعيدة عنها.

**خاتمة**

طالت حركة الفتح أكثر من اللازم لأسباب ذاتية وموضوعية، ونجحت في الأخير في إدخال المغرب في حظيرة الإسلام لتفسح المجال لنشاط الدعاة من كل المذاهب وخاصة المعارضة ليقوموا بعملهم في الأسلمة والتعبئة السياسية.

## ب/ عصر الولاة

انتهى الفتح وصار المغرب إقليما إسلاميا أمويا، وصار عبء تسييره على كاهل الدولة التي صارت تعين ولاة على رأسها إما من دمشق أو الفسطاط مركز ولايات المغرب كاملا. وقد استمرت هذه الفترة حوالي ربع قرن تعاقب على البلاد خلالها ست ولاة توزعت اهتماماتهم بين توسيع مجال الدولة وتنظيم البلاد الإداري والمالي، لكن عملهم كان مشوبا بأخطاء وتجاوزات فجرت الأوضاع.

### 1-ولاة المغرب

كان عدد الولاة ست ولاة عينوا إما من قبل الخلفاء في دمشق أو من قبل والي مصر لأن المغرب ظل تابعا لمصر في أغلب الأوقات.

*محمد بن يزيد القرشي (97-99هـ/716-717م) عينه الخليفة سليمان بن عبد الملك.

*إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر (100-102هـ/718-720م) عينه عمر بن عبد العزيز لتقواه.

*يزيد بن أبي مسلم (102هـ/720م) عينه الخليفة يزيد بن عبد الملك وقتل على يد حرسه بعد أشهر، وعوضه مؤقتا قائد الأسطول محمد بن أوس الأنصاري.

*بشر بن صفوان (102-109هـ/727-728م) والي مصر الذي جمع المغرب ومصر.

عبيدة بن عبد الرحمن السلمي (110-115هـ/728-733م) عينه الخليفة هشام بن عبد الملك.

*عبيد الله بن الحبحاب القيسي (116-123هـ/734-741م).

## 2-أعمال الولاة

يبدأ عهد كل وال بتصفية تركة الوالي السابق بإقصائه وكل أعوانه (القتل- العقاب- مصادرة الأموال- إلغاء التنظيمات ...)، لذلك كانت البلاد؛ إلا نادرا، تعيش حالة اضطراب ورعب وخوف في بداية كل ولاية جديدة مما كان يدفع السكان إلى تجنب التورط مع الحكام ويعزفون عن التعاون معهم.

تحظى إدارة البلاد بعناية الولاة، لكن المصادر لا تحتفظ إلا ببعض المعلومات القليلة. فيزيد بن أبي مسلم خلق حرسا من البربر على النمط البيزنطي لحمايته وتعميم الأمن في العاصمة القيروان، لكنه سيكون وراء قتله (ابن عذاري، ج1، ص.48). أما عبيد الله بن الحبحاب فقام بتقسيم إداري جديد للمنطقة فأحدث ثلاث ولايات: ولاية السوس الأدنى (طنجة ونواحيها) وولى عليها عمر بن عبد الله المرادي وولاية السوس الأقصى وولاية إفريقية. ويعود تنظيم المدن على الطريقة الإسلامية إلى هذه الفترة حيث يعين عليها محتسب وتنظم الأسواق ويعين عليها أمناء.

اهتم الولاة أيضا بدورهم في توسيع مجال الإسلام في المناطق المجاورة وكذلك حماية حدوده من الأعداء. وقد عمل أغلب الولاة على ضم مختلف القبائل البربرية إلى الإسلام والدولة الأموية، فهذا "محمد بن يزيد يبعث السرية إلى ثغور إفريقية، فما أصابه قسمه عليهم" أما إسماعيل بن أبي المهاجر ف"مازال حريصا على دعاء البربر إلى الإسلام حتى أسلم بقية البربر بإفريقية على يديه" (ابن عذاري ج1 ص.47-48). ونظمت غارات وحملات كبيرة على الأراضي الجنوبية وصولا إلى بلاد السودان خاصة على عهد ابن الحبحاب، وكذلك الشمالية خاصة صقيلية وسردينيا وجنوب فرنسا التي صارت الصوائف توجه إليها باستمرار وتعود بالغنائم في أغلب الأحيان.

حرص الولاة على تنظيم البلاد وضبط الجباية ، فسخروا كل إمكانياتهم للحصول إلى أكبر قدر من المداخيل لتغطية نفقاتهم وتضخيم ثرواتهم وشراء مناصبهم من الخلافة في دمشق. فقد كانت الخلافة الأموية منذ انتهاء زمان الفتوح الكبرى في أزمة مالية واحتاجت إلى

الزيادة من مداخيلها بكل الطرق، فانتهجت سياسة جبائية متعسفة. وقد عانى المغرب من التعسف وصار خاضعا لاجتهادات الولاة في وضعه القانوني وكان الجواب عن السؤال: هل المغرب فتح عنوة أو صلحا؟ محددا لسلوك الولاة، فالتقاة مثل إسماعيل بن أبي المهاجر يختار الصلح أما عمر المرادي وأمثاله فاختاروا العنوة واعتبروا كل أرض المغرب وسكانه ملكا للدولة يأخذون منها ما شاؤوا ويتركون ما شاؤوا. فالمرادي "تعدى في الصدقات والعشر، وأراد تخميس البربر، وزعم أنهم فيء المسلمين" (ابن عذاري1/51-52). وتوسع النهب ليشمل الإنسان إذ كان العمال تحت طلب الخلفاء "يبعثون لهم بالبربريات السنيات، فلما أفضى الأمر إلى ابن الحبحاب مناهم بالكثير، وتكلف لهم أو كلفوه أكثر مما كان، فاضطر إلى التعسف وسوء السيرة" (ابن عذاري1/52). وتعدت التحف ذلك وطلبوا "الجلود العسلية، فتذبح مائة شاة؛ فربما، لم يوجد منها جلد واحد" (أخبار مجموعة ص.31-32). وبهذه السياسة المالية خلق الولاة بالبلاد جوا من الغضب والتذمر والسخط في أوساط البربر.

ارتكب الولاة أخطاء كثيرة حيث نقلوا النزاعات العربية المشرقية بين القيسية واليمنية إلى المغرب خاصة في عهد عبيدة بن عبد الرحمن السلمي الذي فضل القيسية؛ وربما كان هذا سبب عزله. وعامل العمال والعرب عامة البربر باحتقار وتهميش حتى وهم في الجيش أو الإدارة، فقد اعتبروا موالي وعبيدا للعرب، فهذا يزيد بن أبي مسلم يعامل أفراد حرسه البربر كمماليك البيزنطيين بالوشم في أيديهم (اسم في اليمين وحرسي في الشمال) فقتل على أيديهم. وإذا شارك البربر في الغزوات يوضعون في الصفوف الأمامية ويعطون نصف الحصة من الغنيمة لأنهم موالي، وتصرف الولاة في أموالهم وأولادهم وخاصة البنات تصرف المالك دون مراعاة لإسلامهم.

**خاتمة**

كان عصر الولاة فترة حاسمة في تاريخ المغرب الإسلامي فقد رسخت من انتمائه للإسلام ودولة الإسلام، لكنها حفلت بأخطاء كشفت عجز المسلمين عن تطبيق تعاليم الإسلام واحترامها في معاملة الشعوب الإسلامية غير العربية مما فجر الوضع وقيام ثورة المغاربة.

## ج/ ثورة المغاربة الخوارج

انفجرت في منطقة طنجة ثورة ضد عاملها عمر بن عبد الله المرادي وقتلته، ثم انتشرت إلى باقي نواحي المغرب الأقصى ثم المغربين الأوسط والأدنى، وحققت انتصارات كبيرة على جنود الأمويين نتج عنها استقلال البلاد. فما هي أهم أحداثها؟ و من هم قادتها؟ وماهي أسبابها؟ وما هي أهم نتائجها؟

### 1-أحداث الثورة

تزعم الثورة شخص يدعى ميسرة المطغري أو المدغري من قبيلة مدغرة أو مطغرة البترية الزناتية، وينعت بالحقير والخفير والفقير وهي أسماء قد يكون للنساخ دور أساسي في ظهورها أو قد تكون مرتبطة بأحداث عاشها في حياته. فقد قضى زمانا بالقيروان عمل خلاله سقاء وخفيرا وتلقى مبادئ المذهب الخارجي هناك، بل نجح في تزعم أتباعه. وكان ضمن الوفد المغربي الذي ذهب إلى دمشق للتظلم للخليفة هشام بن عبد الملك من تعسف عامله وأتباعه وعاد محبطا يائسا من إصلاح الأمور عازما على الثورة ضد الظلم.

بدأت أحداث الثورة بقتل عامل طنجة المرادي (15رمضان 122هـ/ 13 غشت 741م)، وانضمت إلى الثوار قبائل عديدة مثل مكناسة وغمارة وبرغواطة، وتصدت لتدخل عامل السوس الأقصى إسماعيل بن عبيد الله وقتله وبذلك عمت الثورة كل المغرب الأقصى. وحدثت خلافات بين الثوار ربما بسبب رفض ميسرة تعميم الثورة فعزل وقتل وعين مكانه خالد بن حميد الزناتي. وزحف الثوار نحو الشرق.

لما وصلت أخبار الثورة إلى القيروان أرسل عبيد الله بن الحبحاب جيشا تحت قيادة خالد بن أبي عبيدة الفهري في أشراف العرب، فاصطدم بالثوار على وادي الشلف غرب المغرب الأوسط في "معركة الأشراف"، فانتصر الثوار وزاد انتشار الثورة في المغرب ووصلت إلى الأندلس.

غضب الخليفة هشام للهزيمة وأرسل جيشا كبيرا من دمشق قوامه ثلاثون ألف رجل يقوده كلثوم بن عياض القشيري وابن أخيه بلج بن بشر وانضم إليه باقي جند إفريقية لسحق الثوار وإبادتهم، لكن غرور القشيري والخلافات الداخلية لهذا الجيش (أهل إفريقية// أهل الشام) وحماس الثوار وحسن تنظيمهم أدت إلى هزيمته في معركة بقدورة على واد سبو وقتل ثلث الجيش وانسحب ثلثه نحو المشرق وحوصر ثلثه في سبتة. وخلال هذه المعركة أظهر الثوار قدرة عالية على التنظيم بحيث حلقوا رؤوسهم ليتعارفوا فيما بينهم في الميدان واستعملوا الجلود المنفوخة لإخافة خيول العرب ليحصل التكافؤ بين الطرفين ويقللوا من تفوق الفرسان العرب. وانفصل المغرب بعد هذا النصر واستقل عن الأمويين وانتقلت الثورة نحو المشرق. لكن البلاد ستدخل في غموض كبير ولن نتمكن من معرفة شيء عنها إلا بعد أربع سنوات عندما قامت إمارة برغواطة في تامسنا.

انتقلت الثورة إلى المشرق، فثار في قابس عكاشة بن أيوب الفزازي الزناتي الصفري واحتل ضواحي طرابلس بعد مرور حملة كلثوم القشيري مستغلا فراغ إفريقية من جندها. وثار في الشمال عبد الواحد بن يزيد الهواري وسيطر على تونس. وتسابقا من أجل السيطرة على القيروان لكنهما انهزما أمام العامل الجديد حنظلة بن صفوان على التوالي في معركتي الأصنام والقرن عام 124هـ/742م ، فانسحب الخوارج إلى قاعدتهم في الزاب في السنة الموالية، وطورد خوارج نفزاوة في طرابلس ونواحيها.

في ولاية عبد الرحمن بن حبيب الفهري استعاد الخوارج نشاطهم منذ عام 127هـ/745م بزعامة عاصم بن جميل الورفجومي الذي هزم عبد الرحمن وخرب القيروان، لكن عبد الرحمن عاد وهزمه في الأوراس وطارد الخوارج دون أن يقضي عليهم. وتجدد نشاطهم مرة أخرى مع عبد الملك بن أبي الجعد الورفجومي سنة 140هـ/758م وقتل ابن حبيب الفهري وسيطر على القيروان ومد نفوذ قبيلته على كل إفريقية. ثم دخل في صراع مع زعيم خارجي آخر وهو أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري الهواري الإباضي المستقر في القيروان، فانهزم أمامه وقتل وطردت ورفجومة من القيروان التي تولى أمرها عبد الرحمن بن رستم

الفارسي. وعندما جاء عامل أبي جعفر المنصور العباسي محمد بن الأشعث هزم أبا الخطاب وقتله مستغلا اختلال صفوفه وانقسام أباعه (زناتة// هوارة) سنة 144هـ/762م، ففر ابن رستم إلى موقع تاهرت غرب المغرب الأوسط فكون إمارة الإباضيين. وبالرغم من تراجع خطر الخوارج إلا أن خطرهم ظل حاضرا في إفريقية وكان على الولاة المتعاقبين (يزيد بن حاتم ومن بعده) مواجهتم المرة بعد الأخرى.

لقد حققت الثورة كل هذه النجاحات فلماذا قامت؟

## 2-أسباب الثورة

يمكن تلخيص أهم أسبابها في ثلاثة عوامل رئيسية:

- عامل مادي: سبق التفصيل فيه عند الحديث عن السياسة الجبائية للولاة والتي تميزت بالنهب وعدم احترام الشرع واعتبار المغرب أرض عنوة (خراج).
- عامل قومي: سبق الحديث عنه أيضا ويتلخص في المعاملة السيئة للبربر والتي تميزت بالاحتقار والتهميش وعدم الإنصاف.
- عامل مذهبي: لم يكن العاملان السابقان ليحققا أية نتيجة لولا التأطير الذي وفره الفكر الخارجي بفرعيه الصفري والإباضي.

لقد استغلت فرق المعارضة الخارجية والشيعية بعد المغرب عن رقابة الدولة الأموية لتنشر أفكارها وتضم أتباعا هناك استعدادا لمعركة الحسم. واستفادت من سخط البربر وغضبهم من معاملة الحكام لتجلبهم وتسلب عقولهم بفكرها المائل إلى التقشف والبساطة والمساواة والعدل والالتزام بمبادئ الشرع. وقد نجحوا في كسب تأييد قبائل بربرية من طرابلس وجبل نفوسة حتى طنجة. ولا ندري بالتدقيق متى دخل هذا الفكر إلى المغرب لكن يرجح أنه وصل في نهاية القرن الأول وبداية الثاني. وكان أول زعماء الصفرية بالقيروان عكرمة بن العباس الذي نجح في تكوين أتباع مثل ميسرة المطغري وسمكو بن واسول المكناسي وطريف بن شمعون وعبد الأعلى بن جريج، وقد انتشرت الصفرية أساسا

في غرب البلاد. أما زعيما الإباضية في المغرب فهما سلمة بن سعيد ومحمد بن عبد الحميد بن معيطر اللذان كونا الأتباع وأرسلاهم إلى البصرة لتعميق التكوين. وكانت ليبيا (طرابلس وجبل نفوسة والزاب) المجال المفضل عند الإباضيين.

بهذا الإطار الفكري دخل البربر معركة الاستقلال وكسبوها، فماذا حققوا بثورتهم؟

### 3-نتائج الثورة

حققت الثورة نتائج متنوعة تتمحور حول الاستقلال.

- استقلال المغرب عن المشرق والدولة الأموية وبعدها العباسية والتخلص من التبعية.
- تكوين إمارات مستقلة خارجية أساسا أهمها: إمارة بني مدرار بسجلماسة وإمارة الرستميين بتاهرت وإمارة بني صالح بنكور وإمارة برغواطة بتامسنا.
- عودة بعض المناطق إلى حكم النظام القبلي.
- دخول البلاد في حالة من الغموض بإهمال المؤرخين المسلمين لأخبارها وابتعادها عن الأضواء.
- تأخر في الاستفادة من المد الحضاري الإسلامي مقارنة مع المشرق
- فسح المجال لنشر الإسلام على طريقة الخوارج.

### خاتمة

بعد الجهد الكبير للفاتحين لضم المغرب، لم يعمر الحكم الأموي في البلاد إلا ربع قرن لتعود للاستقلال تحت لواء إمارات مستقلة متنوعة دون أن تفرط في الدين الجديد حتى ولو كان بلباس الإسلام الخارجي.

## المغرب المستقل: عصر الإمارات

**مقدمة**

امتدت هذه المرحلة على مدى قرنين ونصف، واقتسمت أرض المغرب خلاله مجموعة من الإمارات المستقلة والمتصارعة أحيانا كان للمغرب الأقصى النصيب الأكبر منها ، وتقاسمتها مذاهب مختلفة. وكانت نهاية معظمها على يد الفاطميين. وأمام إكراه الزمان الجامعي فسنخصص حديثنا لإمارة واحدة فقط وهي إمارة برغواطة برغواطة كنموذج مميز عن هذه الكيانات.

## 1-خصائص الإمارات العامة

| | الامارة | المؤسس | القبيلة | الأصل | المجال | العمر | المذهب |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| 1 | بنو صالح | صالح بن منصور الصنهاجي الحميري | صنهاجة | من القيروان | نكور/ الريف الأوسط الشمالي | 132؟-410هـ | سني |
| 2 | برغواطة/ بنو صالح | طريف بن شمعون | برغواطة | أندلسي/ يهودي | تامسنا | 122؟-451هـ | مذهب برغواطة |
| 3 | بنو مدرار | أبو القاسم بن سمكو بن واسول المكناسي | مكناسة | مغربي | سجلماسة/ درعة | 140-296هـ | خارجي صفري |
| 4 | رستميون | عبد الرحمن بن رستم الفارسي | زناتة | فارس | المغرب الأوسط- جنوب إفريقية- نفوسة | 144؟-296هـ | خارجي إباضية |
| 5 | أدارسة | إدريس بن عبد الله | أوربة | حجاز | المغرب | 172-375هـ | شيعي زيدي /سني |
| 6 | أمويون | عبد الرحمن بن معاوية | الموالي الأمويون | دمشق | الأندلس | 138-422هـ | سني مالكي |
| 7 | أغالبة | إبراهيم بن الأغلب | أهل إفريقية | بغداد | إفريقية أراضي عباسية | 184-296هـ | سني حنفي |

**الخصائص العامة للإمارات المستقلة في المغرب**

بلاد المغرب و الأندلس في القرن الثالث للهجرة / IX م
بلاد الفرنجة
مملكة ليون
نبرة
أراغون
قطلونية
كورسيكا
سردينيا
الأمويون بالأندلس
البحر المتوسط
(بحر الروم)
المحيط الأطلسي
(البحر المحيط)
الأغالبة
الأدارسة
بنو رستم
بنو مدرار
صقلية
إمارة الأغالبة
إمارة بني رستم
إمارة بني مدرار
إمارة الأدارسة
الدولة الأمويّة بالأندلس
مجال الصراع بين مسلمي الأندلس و المسيحيين
زناتة قبائل كبرى
عواصم
مدن

## 2-إمارة برغواطة

انفجرت الثورات الخارجية في المغرب وانتهت باستقلاله عن الأمويين، لكنها ألقت به في جو من الغموض حيث اختفت أخباره. ولما عادت الأخبار استقبلنا بمجموعة من الإمارات الصغيرة في نكور وسبتة وتلمسان وسجلماسة وتاهرت وتامسنا. وإذا كانت أغلب الإمارات صغيرة وتأثيرها في الأحداث محدودا، فإن الأخيرة انفردت بأهمية كبيرة لما تميزت به من خصوصيات في مذهبها الديني وقدرتها الكبيرة على المقاومة لفترة طويلة، ولذلك تشكل دراستها أهمية خاصة.

لم تشفع أهمية الإمارة لها عند المؤرخين حيث تجاهلوها ولم ترد أخبار عنها إلا خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. وكان ابن حوقل أقدم من كتب عنها وتلاه البكري في القرن الخامس وعنه سيأخذ أغلب من كتب عنها. ومن المصادر التي كتبت عنها نذكر:

- ابن حوقل، صورة الأرض
- البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب[1]
- مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار
- ابن عذاري، البيان المغرب، ج1
- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب
- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج1
- ابن خلدون، العبر، ج6
- الناصري، الاستقصا، ج1

ولم يكتب عنها المشارقة شيئا . وكل ما كتب عنها كان من أجانب من خارجها إلا إذا اعتبرنا ما ورد عند البكري أصيلا.

[1] - أخذ البكري عن برغواطة من رواية أبي صالح زمور بن هشام بن واردزين سفير برغواطة إلى قرطبة عام 351ه/961م؛ بترجمه أبي موسى عبسى بنداود بن عشرين السطاطي المسلم، وفضل بن مفضل بن عمرو المذحجي.

ونفس الإهمال واجهته مع الدارسين المعاصرين الذين لم يكتبوا عنها إلا القليل وأشبعوا أخبارها تأويلا وتحريفا، ومن أهم ما كتب عنها:

-SLOHCH N.,L'empire des Bergwata et les origines de blad es-siba

-Marcy G., Dieux des Abadites et des Bargwata, Hespéris, t21, fasc.1, 1922.

- حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، ج1

- حركات " ، المجتمع الدكالي والفكر الديني، مجلة دعوة الحق، عدد 224، غشت 1982.

- مادتا مصمودة وبرغواطة في دائرة المعارف الإسلامية

- محمود إسماعيل، الخوارج ببلاد المغرب،

- " " ، مغربيات: دراسات جديدة، المحمدية، 1977.

- إبراهيم خلف العبيدي، البرغواطيون في المغرب، 1983.

- رجب محمد عبد الحليم، دولة بني صالح بتامسنا، دار الثقافة الفجالة.

- مادة برغواطة في معملة المغرب

- Berghwata, Ency. De l'Islam, t.1

وسنتناول هذا الموضوع بناء على العناصر التالية: الأرض والسكان والتطور السياسي والديانة.

## 1-1-الأرض والسكان

قامت برغواطة في أرض تامسنا (الشاوية الحالية) التي تمتد بين نهري أبي رقراق شمالا وأم الربيع جنوبا، لكن حدود الإمارة امتدت في بعض الأوقات أكثر نحو الجنوب لتضم دكالة

وعبدة والحوز وشمالا حتى المعمورة. وتتميز هذه المنطقة بطابعها السهلي وقلة الارتفاعات وتربتها الخصبة (الترس) ورطوبة مناخها. وتخترقها أنهار عديدة أهمها النهران المذكوران أعلاه مما يوفر مياها كثيرة، كما توجد بها غابات ومروج غنية. وكل هذه المؤهلات تجعل منها منطقة فلاحية كبيرة لحد أنها اعتبرت في العصر الوسيط فدان المغرب وخزان حبوبه (سهل وجودها اختيار موقع مراكش).

تتوفر المنطقة على سواحل طويلة تسمح لها بالانفتاح على الخارج؛ وخاصة الأندلس، عبر موانئ أزمور وأنفا والرباط وسلا. وهي أيضا معبر للطرق التجارية البرية الآتية من جنوب البلاد أو شمالها.

إنها منطقة غنية فلاحيا وتجاريا مما يوفر الدعائم الضرورية لحكامها ويجعلها مطمعا للجيران والأعداء.

يتكون سكان تامسنا من قبائل برغواطة التي يقال إن اسمها اشتق من اسم مؤسس الدولة الذي جاء من وادي برباط بكورة شذونة جنوب الأندلس فحرف اسم برباطي إلى برغواطي ثم عمم الاسم على كل السكان. وهذا تأويل معقد يصعب القبول به، لكنه أهم ما توفر لحد الآن.

اختلف المؤرخون حول مكونات برغواطة القبلية، فبعضهم يرى أنها خليط من القبائل الزناتية أطلق عليه هذا لاسم، أما ان خلدون فيرى أنها مصمودية من الجيل الأول وهذا الرأي أكثر تداولا وقبولا. ويبدو أن أرض تامسنا كانت آهلة بخليط من القبائل المصمودية والزناتية والصنهاجية. ومن أهم القبائل التي دانت بمذهب برغواطة: جراوة وزواغة والبرانس ومطغرة وبنو دمر وبنو أبي ناصر وفحصة وبنو أبي نوح ومطمامة وبنو تادمر وبنو يوزغ وبنو واكينست. وخضعت لها قبائل أخرى مسلمة ومنها: أزمور وبنو يفرن وبنو أفلوسة وزناتة الجبل وبنو يليت ومحلته وبنو واد وبنو ناغيت وبنو النعمان وبنو كونه وبنو يسكر وأصادة وركانة ووايزمين ومنادة وماسينة ورصانة وترارته وتمغراوة.

شكل هذا الخليط القاعدة البشرية للإمارة وتجمعت حول مركز العصبية برغواطة وظلت لقرون تدافع عن بلدها.

### 2-2-التطور السياسي للإمارة

#### 2-2-1- طور التأسيس (122هـ- 224/741-839م)

تأسست الإمارة على يد طريف أبو صالح (122هـ-127م) الذي اختلفت المصادر حول أصله، فهو إما يهودي (من ولد شمعون بن يعقوب)، أو بربري برغواطي جاء من وادي برباط بالأندلس، أو مسلم، وبالرغم من اضطراب هذه الأقوال فهي لا تتناقض بل تتكامل، ويمكن ترتيبها على الشكل التالي: بربري يهودي؛ ربما أسلم، هاجر إلى الأندلس ثم عاد منها إلى تامسنا موطنه الأصلي. ويقال إنه هو الذي قاد الحملة التمهيدية لفتح الأندلس سنة 91هـ/710م وباسمه سميت جزيرة طريف، وانضم إلى مذهب الخوارج وشارك في ثورة ميسرة، ثم انسحب بعد مقتله إلى تامسنا وأسس إمارته، وهناك توفي.

وخلفه ابنه **صالح** (127-174هـ) الذي اشتهر بوضع ديانة برغواطة، وقد وصفته المصادر بالذكاء والمعرفة بالسحر والفلك والتنجيم. رحل إلى المشرق وتعلم هناك ثم عاد ليضع أسس ديانته. وقد اعتبر نفسه المهدي المنتظر وآخر الأنبياء، ورحل في آخر عمره إلى المشرق واعدا أتباعه بالعودة في عهد خلفه السابع، كما أوصى ابنه بالاحتفاظ بديانته وكتمان أمرها حتى تظهر قوته، وأوصى أيضا بمحالفة أهل الأندلس.

ثم خلفه ابنه **إلياس الزاهد العفيف** (174-224هـ) فتظاهر بالإسلام حتى وفاته.

وبذلك انتهى عهد التأسيس لتدخل الإمارة عهد القوة.

#### 2-2-2-عهد الازدهار

بدأ هذا العهد بتولي **يونس بن إلياس** (224-268هـ) الذي تخلط المصادر بينه وبين جده صالح، حيث تقول إنه رحل إلى المشرق وتعلم هناك الكهانة والتنجيم والكلام، ولما تولى أظهر ديانة برغواطة، وجعل شالة عاصمته. ودخل في حروب قوية مع القبائل المجاورة له

ووسع مجال إمارته على حسابها. وتذكر المصادر أنه فقط في معركة تاملوكاف أحرق 380 مدينة وقتل 7770 رجلا.

ولما مات انتقلت السلطة إلى فرع ثان من برغواطة لسبب مجهول قد يكون نتيجة صراع داخلي، أو لعدم وجود وريث مناسب في الفرع الأول، أو للسيطرة الإدريسية، ويبقى السبب الأول أكثر ترجيحا.

وقد تعاقب على السلطة بعده **أبو عفير** (268-297هـ) و**أبو الأنصار عبد الله** ابنه (297-341هـ) و**أبو منصور عيسى** (341-369هـ). وفي عهدهم زادت قوة برغواطة، وكثرت حروبها (تيمغسن وبهت)، وزاد احترام الجيران لها. وتضخم الجيش ليصل إلى خمس وعشرين ألف رجل (3000 من برغواطة – 10 آلاف من قبائل على ديانتها – 12 ألفا من المسلمين).

انتهى هذا العهد بقتل بلقين بن زيري الصنهاجي والي الفاطميين على إفريقية لأبي منصور عام 369هـ، واختفت الأخبار عن برغواطة في المصادر، لكن يبدو أنها استعادت قوتها فيما بعد لأنها ستواجه الفتى واضحا الأموي بعد ثلاث سنوات، وستواجه بني يفرن حكام سلا، وسنلتقي بها بعد ثمانين سنة تقريبا قوية وقادرة على مواجهة المرابطين وهزمهم وقتل زعيمهم عبد الله بن ياسين.

### 2-2-3- العلاقة بالجيران

كانت برغواطة هدفا دائما لجيرانها من الإمارات وحتى من القبائل أو الأفراد.

بدأت المواجهات مع الأدارسة منذ عهدي إدريس الأول وإدريس الثاني (172-213هـ) حيث اعتبروا برغواطة مجوسا تجب محاربتهم وضمهم إلى الإسلام، فنظموا عدة غارات فشلت في القضاء عليهم بالرغم من أنها، وكما يستنتج من مجال الأدارسة المقسم بين أبناء إدريس الثاني، انتزعت منهم مجموعة من الأراضي وطوقتهم من الجهات البرية الثلاث.

ويذكر ابن حوقل أن الشاكر بالله المدراري عزم على غزوهم سنة 340هـ/950م، لكنه لم ينفذ ذلك.

ولما دخل الفاطميون والأمويون في صراعهم حول ضم المغرب الأقصى كانت برغواطة مستهدفة منهما مباشرة أو من قبل حلفائهما. ففي سنة 366هـ/977م هاجمهم جعفر بن علي الأموي لكنهم هزموه هزيمة منكرة. وفي عام 372هـ، أرسل المنصور العامري الفتى واضحا وحقق انتصارات كبيرة عليهم. وهاجمهم نائب الفاطميين بلقين بن زيري سنة 369هـ وقتل الحاكم أبا منصور عيسى.

لما تراجع الوجود الأموي بالمغرب وتولى حكم سلا بنو يفرن، قام زعيمهم أبو كمال تميم اليفرني بتنظيم غارات عديدة ضدهم وألحق بهم خسائر كبيرة، حتى إن أحدهم رآه في الحلم بعد موته في حالة حسنة فسأله عن السبب فأخبره أن ذلك كان بفضل جهاده لبرغواطة. وهذا الأمر يعكس الأثر النفسي الكبير الذي تركه في الناس بهذا العمل.

وشاركت قبائل هسكورة في جهادهم، كما كان المتصوفة يرابطون على حدودهم لجهادهم وأنشأوا رباطات هناك.

وسيستمر هذا العمل حتى بعد هذه الفترة مع المرابطين والموحدين.

كانت برغواطة مستهدفة من جيرانها؛ أفرادا وجماعات، باستمرار فلماذا هذا العداء المتأصل؟

### 2-3- ديانة برغواطة

تتميز ديانة برغواطة بالغموض الكبير، وتكاد الروايات تجمع على أن واضعها هو **صالح بن طريف** ثاني ملوكهم حيث ادعى النبوة ووضع قرءانا ثم أعلنها حفيده **يونس بن إلياس.** واختلف حول أصلها ومصدرها وأعطى الباحثون الحق لأنفسهم في الاجتهاد واعتماد أدلة واهية جدا أحيانا لإعطاء تفسيرات. فدي سلان يرى أنها يونانية (اسم الإله ياكش هو باخوس إله الخمر عند اليونان)، ورآها مارسي مسيحية (ياكش= يسوع) ودو فيردان يهودية (ياكش= يوشع)، ورأى فيها آخرون مذاهب إسلامية خارجية (محمود إسماعيل) وشيعي (سعد زغلول عبد الحميد). ويظهر أن هناك اضطرابا كبيرا في هذه الآراء وأنها تعتمد عناصر جزئية لتخرج بأحكام كبيرة

(اسم إله- فكرة أو فكرتان تشبه مثيلتها في مذهب ما) مع أن إمكانية استعارة اسم أو فكرة من ديانة أو مذهب هي أمر عادي. لكن القراءة المتأنية لمكونات هذه الديانة ومقارنتها بعادات مغربية ما زال بعضها قائما حتى الآن تكشف أننا أمام عملية إبداع قائم على التلفيق بالجمع بين الإسلام والعادات المحلية، وهذا شكل من المقاومة القائم على إرضاء طرفي النزاع (الإسلام وممثلوه// العادات المحلية الموروثة). وسيتضح هذا الأمر أكثر عندما سنعرض مكونات الديانة كما وردت في نصوص البكري وابن حوقل وكتاب "الاستبصار"، وإذا ما قورنت بما ورد في ديانة حاميم الغماري المعاصر.

- **الكتاب المقدس:**

- القرآن: باللغة البربرية وكون من ثمانين سورة تتوزع أسماؤها بين الأشخاص والأنبياء والحيوانات تماما كما في القرآن. وأسلوبه سجعي يحاول تقليد القرآن.

- **العبادات:**

- **الوضوء:** يشبه الوضوء الإسلامي مع بعض الزيادات؛ ربما مبالغة في النظافة. ومن الزيادات غسل الصرة والخاصرتين والرجل إلى الركبتين ومسح الرقبة والقفا والغسل من جنابة الحرام فقط.

- **الصلاة:** عشر صلوات (خمس في النهر وخمس في الليل) وبعضها إيماء وثلاث سجدات متوالية وصلوات مثل المسلمين.

- **الصوم:** صوم في رجب أو شعبان والإفطار في رمضان وأيام أخرى في الأسبوع.

-**الزكاة:** العشر ولا زكاة على المسلمين (قارن لا زكاة على الذمي في الإسلام).

**الأضحية:** تذبح في عاشوراء.

عبادات إسلامية مع تحريفات أو زيادة مبالغة؛ ربما، تعبيرا عن قوة التدين أو جهلا بما في الإسلام أو زيادة من المصدر.

- **التشريعات:**

- **الزواج:** تعدد الزوجات حسب القدرة والطلاق والعودة دون شرط ومنع الزواج ببنت العم إلا بعد مرور ثلاثة جدود وعدم الزواج من المسلمة ومنع التسري وتحريم الزنا. وكما يلاحظ فهذه محاولة للحفاظ على عادات قديمة في الزواج ومعاملة المسلمين بالمثل. وهذا أشياء كانت موجودة حتى عند العرب قبل الإسلام.
- **قتل السارق:** وهو تشدد في معاملته وهي عادة مغربية ما تزال موجودة حتى اليوم، ووجدت في بعض الأسواق في جبال الأطلس قبور للصوص قتلهم الناس بعد ضبطهم ليكونوا عبرة لكل من يحاول السرقة.
- **نفي الكاذب:** تشدد في معاملته لأنه يثير الفتن داخل المجتمع.
- **فرض الدية على القاتل:** دية ثقيلة (100 بقرة) لمنع الناس من ارتكاب هذا الجرم وقد يكون دليلا على ندرته في هذا المجتمع.
- **تحريم أكل رؤوس الحيوانات والبيض وكراهة الدجاج وتذكية السمك وعدم ذبح الديك.** هذه عادات ما تزال موجودة في بعض مناطق المغرب إما بشكل كامل أو جزئي إما مكشوفة أو تغطي عليها بعض القشور (الأطلس الكبير لا يأكلون الرؤوش وأحشاء الذبائح- الدجاج لا يؤكل إلا لعلاج الجرحى أو لأعمال سحرية- البيض يغسل سبع مرات قبل الأكل...).

كما يلاحظ فهذه الديانة هي مزيج من التعاليم الإسلامية والعادات المحلية مع ما يرافق ذلك من تحريفات أو زيادات أو مبالغة وجدت عند كل الشعوب والجماعات بما فيها تلك التي التزمت بالإسلام السني (المتصوفة كما تبين كتب المناقب). وهذا يؤكد على مقاومة العادات المحلية للنسيان ومحاولة التحايل على الأفكار الجديدة.

**خاتمة**

كانت برغواطة قوة سياسية في المغرب ما قبل- مرابطي، لعبت دورها في صياغة تاريخ البلد بالرغم من تجاهل المصادر. وهي تعكس شكلا من أشكال المقاومة المحلية للفكر والدين

الجديد وتقدم شكلا لإسلام وسيط ساد بعض مناطق المغرب قبل أن تعمل حركات التنميط على توحيد الصورة والنمط (المذهب المالكي).

# الإمبراطوريات البربرية/الأمازيغية

## مقدمة

تعاقبت على المغرب ما بين القرنين 5هـ/11م والقرن 10هـ/16م ثلاث إمبراطوريات من تأسيس أبناء القبائل البربرية/ الأمازيغية؛ عصبية ومذهبا، ونجحت في توحيد كل المغرب (شمال إفريقيا والأندلس)، ودافعت عنه خاصة ضد الممالك المسيحية في الأندلس.

## 1-المرابطون

### 1-1-الأساس الجغرافي والبشري للمرابطين

ينتمي المرابطون إلى الفرع الثالث من البربر الأمازيغ وهم صنهاجة، لكن النسابة يميزون داخلها بين فرعين: صنهاجة (الشمال) التي تقيم في المناطق الشمالية بجبال فازاز والريف والقبائل، وصنهاجة الصحراء؛ وهذه هي التي تهمنا، التي تقيم في الجنوب المغربي والصحراء الكبرى. ويوضح ابن خلدون أن هؤلاء من الجيل الثاني من صنهاجة.

يسمون أيضا بالملثمين لأنهم يتخذون اللثام زيا لهم. وقد اختلف في سبب اتخاذه، فقيل إن سبب ذلك عائد إلى محاولة إخفاء أفواههم لأنها مصدر العار والقبح (يلاحظ هذا الأمر حتى الآن عند المغاربة)، أو لكثرة العواصف في الصحراء واشتداد الحر بها فاتخذ وقاية منها؛ وهذا الأرجح، وقيل إن مخيماتهم تعرضت لهجوم في غياب الرجال فوضعت النساء ألثمة وقاتلن العدو وهزمنه وتجنبن السبي والعار، فصارت صنهاجة منذ ذلك الوقت تتبرك به وتلتزم بحمله. وقد نسجت قصص كثيرة حول تشبثهم به حتى إنهم يقدمون تغطية محل اللثام (الوجه) على ستر العورة. ويقتصر اتخاذه على الرجال دون النساء.

وتتكون صنهاجة الصحراء من قبائل وعشائر كثيرة بلغ عددها عند البعض سبعين قبيلة، وأهمها: لمتونة وجدالة ولمطة ومسوفة وزغاوة وبنو وارث وبني ينتسر ...

**و**تحتفظ المصادر بمجموعة من النصوص حول تحديد مواطنهم تختلف في بعض التفاصيل، لكنها تتكامل في الأخير لتحدده بشكل تقريبي. فصاحب "الحلل الموشية" (الحلل، ص.17) يحددها كما يلي:

"ومراحلهم في الصحراء مسيرة شهرين في شهرين، ما بين بلاد السودان وبلاد الإسلام"

ويحدد البكري أكثر فيقول:

"ومراحلهم في الصحراء مسيرة شهرين في شهرين، ما بين بلاد السودان وبلاد الإسلام، ويصيفون في موضع يسمى أمطلوس وآخر يسمى تاليوين وهم إلى بلاد السودان أقرب، بينهم وبين بلاد السودان نحو عشر مراحل" (المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب" ص. 164)

ومن خلال النصين يتضح أن مواطن صنهاجة تقع في القسم الجنوبي الغربي من الصحراء الكبرى، وهو ما يوافق الأراضي الموريتانية تقريبا.

ويوسع ابن أبي زرع المجال أكثر فيقول:

"وهذه القبائل كلها صحراوية، حوز بلادهم في القبلة مسيرة سبعة أشهر طولا ومسيرة أربعة أشهر عرضا، من نول لمطة إلى قبلة القيروان من بلاد إفريقية، وهي ما بين بلاد البربر وبلاد السودان" (الأنيس المطرب، ص.120)

وبهذا تتجاوز موطنهم الجزء الغربي من الصحراء الكبرى لتمتد من المحيط الأطلنتي إلى جنوب إفريقية (تونس الحالية).

ويزيد ابن خلدون المجال اتساعا فيصل ببلادهم إلى الجنوب الليبي:

"الملثمون الموطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب (...) فنزلوا من ريف الحبشة جوارا، وصاروا ما بين بلاد البربر وبلاد السودان حجزا (...) كلهم ما بين البحر المحيط بالمغرب إلى غدامس من قبلة طرابلس وبرقة" (ابن خلدون، ج6، ص.241)

وبهذا التحديد تصير مواطن صنهاجة ممتدة على كل الأجزاء الجنوبية من الصحراء الكبرى من المحيط إلى الحدود المصرية (بلاد الطوارق الحالية). لكن القبائل التي تهمنا تقيم في الأجزاء الغربية وهو ما يوافق الأراضي الموريتانية الحالية، إذ تقيم لمتونة وسط البلاد بينما تقيم جدالة إلى الجنوب منها وصولا إلى نهر السنغال.

وبالرغم من قلة النصوص حول نمط عيشهم، فإن ما يتوفر يساعد على رسم صورة تقريبية، فالبكري يقول عنهم:

"وليس يعرفون حرثا ولا زرعا ولا خبزا إنما أموالهم الأنعام وعيشهم من اللحم واللبن ينفذ عمر أحدهم وما رأى خبزا ولا أكله إلا أن يمر بهم التجار من بلاد الإسلام أو بلاد السودان فيطعمونهم الخبز ويتحفونهم بالدقيق" (البكري، ص.164) وينقل ابن أبي زرع هذه المعلومات عنه مع بعض التغيير (الأنيس ص.120)

ويضيف صاحب "الحلل الموشية" معلومات أخرى في هذه الجملة القصيرة **"**وهم ظواعن في الصحراء، رحالة لا يطمئن بهم منزل، وليس لهم مدينة يأوون إليها" (الحلل، ص. 17).

وكما يفهم من النصين فحياة صنهاجة تقوم على الترحال والتنقل المستمر خلف قطعان الماشية من الجمال والأغنام والماعز وبعض الدواب خاصة الحمير. وينظمون رحلتين موسميتين في الصيف والشتاء، إما في اتجاه الشمال (المغرب الأقصى) أو في اتجاه الجنوب (حوض نهر السنغال)، كما يحصل حاليا في موريتانيا. وتقوم معيشتهم على اللحم المشوي أو المقدد والحليب وبعض المواد الأخرى من حبوب وتمور يحصلون عليها من عمليات تبادلهم مع المستقرين والتجار الذين يمرون ببلادهم. كما لا يستبعد أن يكون الغزو إلى القبائل السودانية بشكل موسمي أحد الموارد الاقتصادية لهذه القبائل.

أما عن إسلامهم فالحقيقة أننا لا نملك معلومات دقيقة عن تاريخ دخول الإسلام إلى بلاد صنهاجة، فهناك من يجعل إسلامهم مبكرا جدا ويقول إن إسلام بعضهم يعود إلى عهد عقبة

بن نافع، وربما وقع هؤلاء في خلط بسبب نسبة الفهري فخلطوا بين عقبة وحفيده عبد الرحمن الذي سنذكره بعد قليل. وأما ابن خلدون فيقول إن إسلامهم تم بعد فتح الأندلس (ج6، ص.241)؛ أي بعد عام 95هـ/714م، وهذا كلام معقول إذا ربطناه بكون الولاة الأمويين؛ وخاصة عبيد الله ابن الحبحاب، عملوا على غزو بلاد السودان انطلاقا من جنوب المغرب الأقصى. كما أن روايات تقول إن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبدة الفهري (حفيد عقبة ابن نافع) بعد سيطرته على حكم بلاد إفريقية عام 127هـ اخترق الصحراء ونشر الإسلام في أوساط صنهاجة الصحراء. وبذلك نرجح أن الإسلام وصل إلى صنهاجة في عهد الولاة دون أن نستبعد أن يكونوا قد تعرفوا عليه أثناء حروب الفتح.

ولا نعرف شيئا عن تنظيمهم السياسي عدا ما أورده ابن أبي زرع ونقله عنه ابن خلدون. فقد أعاد ظهور تنظيم سياسي عندهم إلى القرن 2هـ/8م، وكان أول ملوكهم في الصحراء تلاكاكين الصنهاجي اللمتوني الذي عاصر عبد الرحمن الداخل وتوفي عام 222هـ بعد حكم حوالي 80 سنة، وكان ملكه عظيما. وخلفه حفيده الأثير بن فطر بن يتلوتان حتى وفاته (ت287هـ بعد حكم 65سنة)، وقام مقامه ولده تميم إلى أن ثارت عليه صنهاجة عام 306هـ/918م، فافترقت كلمتهم لحوالي 120 سنة، إلى أن قام فيهم محمد بن تيفاوت المعروف بتارشا اللمتوني الحاج الفاضل الدين المجاهد فجمعهم لمدة ثلاث سنوات ثم استشهد في غزاة إلى بلاد السودان فخلفه صهره يحي بن إبراهيم الجدالي عام 129هـ. وعلى يده ستبدأ الدعوة المرابطية.

وخلاصة الكلام فقد تشكل الأساس البشري للمرابطين من صنهاجة الصحراء البدو ساكني الصحراء الكبرى في مجاورة بلاد السودان، رعاة النعم المتقشفين الأشداء.

### 2-الأساس الديني لدولة المرابطين: دعوة عبد الله بن ياسين

يمكن اعتبار الدولة المرابطية مشروعا للفقهاء المالكيين وجزءا من صراعهم لفرض المذهب المالكي الذي بدأوه منذ قيام دولة الفاطميين بإفريقية، ويظهر ذلك جليا في كل مراحل

قيام حركتهم ودولتهم، ففي كل لحظة يحضر الهم المذهبي والحرص على استحضاره في كل التصرفات والقرارت.

وتبدأ القصة عندما خرج يحيى بن إبراهيم الكدالي زعيم صنهاجة الجديد قاصدا حج بيت الله عام 429هـ/ 1037م، وفي طريق عودته توقف بالقيروان وحضر بمسجدها دروس زعيم المالكية آنذاك أبي عمران الفاسي فأعجب به وتحدث إليه، فسأله الشيخ عن أهله وعن بلده وعن دينهم ومذهبهم فأجابه عن كل ذلك، ثم طلب من الشيخ أن يبعث معه أحد طلبته ليعلمهم أمور دينهم. فوعده الشيخ خيرا، ولما عرض الأمر على تلامذته لم يجد عندهم رغبة في الذهاب إلى الصحراء واستصعبوا العيش هناك، فاعتذر للزعيم الصنهاجي غير أنه حمله رسالة إلى أحد تلامذه بالمغرب الأقصى رجاء أن يجد عنده حاجته.

قصد يحيى الكدالي المغرب الأقصى ميمما حيث نفيس أو ملكوس مقر إقامة وگاگ بن زلو اللمطي تلميذ أبي عمران، وبعدما قرأ الرجل كتاب شيخه اختار له فقيها صنهاجيا جزوليا متحمسا اسمه عبد الله بن ياسين بعدما قبل السفر معه.

ولا نعرف عن الرجل إلا معلومات قليلة جدا. فهو من الناحية العرقية من جزولة إحدى قبائل صنهاجة الصحراء مما يقربه من أبناء عمومته. وربما؛ كان – حسب بعض الروايات – من أبناء الصحراء وأنه ولد في مكان قرب أودغست. ولو كان هذا الأمر صحيحا لكان قد سهل عليه مهمة التواصل مع الناس هناك وتحمل مشاق الحياة في الصحراء.

وتقول روايات إنه زار الأندلس طلبا للعلم وأقام بها سبع سنوات حصل خلالها علما كثيرا، وعاد إلى المغرب والتحق برباط شيخه وكاك بن زلو اللمطي وأقام معه.

وابن ياسين فقيه على المذهب المالكي تقي ورع نبيه متقشف يفضل البعد عن السلطان، ويستنتج من تصرفاته أنه داعية بارع وخطيب جيد.

فرح الناس بقدومه وبجلوه، وكان يحي أشدهم تعظيما له وفخرا به. فصار يعقد له مجلس الوعظ والتعليم ويدعو الناس إليه.

عمل الشيخ على تغيير مناكر إهمال الشعائر وتجاوز الحدود في الزواج والزكاة وتعليم شعائر الدين وتأليف قلوب صنهاجة لتوحيدها. واستطاع استقطاب الطلبة من كل الأنحاء. وكان يلجأ إلى التدرج في التعليم حيث بدأ بالوعظ البسيط ثم انتقل إلى تفسير القرآن ورواية الحديث وتعليم الفقه. وكان يعطي بنفسه المثال بالتقشف في معيشته والاقتصار على لحوم الصيد البري والبحري والإكثار من العبادة وشدة الصبر والتحمل. وكانت حياته هذه مدعاة لنسج قصص جعلت منه وليا حيا.

لكن بعض نزواته مثل الإكثار من الزواج والتطليق والمبالغة في العقاب وفرض الأحكام بصرامة ومس مصالح بعض الفئات في مجتمع صنهاجة خلقت مقاومة محلية تزعمها فقيه يسمى الجوهر بن سكم وزعيمان هما أيار وإينتكوا، فعزلوه وطردوه ونهبوا بيته. ويرجح أن هذا الأمر حصل بعد موت يحي الجدالي وفقدانه حمايته وتعيين يحي بن عمر اللمتوني مكانه بمباركته مما أفقد جدالة الزعامة وأغضبها.

اختلف حول التصرف الذي رد به عبد الله بن ياسين، فقول يذهب إلى أنه عاد إلى شيخه وكاك الذي كتب إلى أهل جدالة يوبخهم ويحذرهم من مخالفة الداعية لأن ذلك مخالفة للدين والجماعة فأرجعه فاعتذروا له وأعادوه إلى مكانه وموقعه السابق. وقول يرى أنه رحل رفقة يحي بن عمر اللمتوني إلى جزيرة في وسط أحد أنهار المنطقة إما السنغال أو النيجر أو أحد مصبات الأنهار الداخلية على هامش الصحراء، فبنى رباطا هناك وتفرغ للعبادة والتربية ، وهذا هو الرأي الأرجح.

بدأ الرباط بجماعة لا تتجاوز عشرة أشخاص (2لمتونة- 7 جدالة – الشيخ)، فأخذهم الشيخ بتربية صارمة تقوم على التقشف في المعيشة (صيد) وكثرة العبادة والصلاة في الجماعة (5ضربات لكل تأخر عن ركعة – 20ض لكل صلاة) والتعلم وقلة الكلام ... فتسامع الناس بالرباط وتقاطروا عليه فلم يكن يقبلهم إلا بعد امتحان عسير. وبعد ذلك أرسل الدعاة إلى القبائل لدعوة رجالها للالتحاق بالرباط، فاجتمع له نحو ألف رجل من أشراف صنهاجة. وعند ذلك قرر الخروج بهم للجهاد.

بدأ الجهاد في أوساط القبائل حيث أرسل كل أبناء قبيلة إلى أهلهم للدعوة، ولما رفضوا حاربهم. وبدأ بجدالة وأخضعها (436هـ) ثم أتبعها ببربر جوار لمتونة وتغلب عليهم بعد حرب شديدة أطلق بعدها اسم المرابطين على أصحابه. ثم دخلت لمتونة ومسوفة ولمطة دون حرب، فصارت الدعوة دعوة صنهاجة ومسألة قومية لها مما ضخم الدعم وزاد منه. وكون جيشا من ثلاثين ألف رجل. وقام بحركات جهادية في أوساط السودان، وكان يبعث من مال الغنائم إلى طلبة وقضاة المصامدة، فزادت شهرته في المغرب والصحراء وبلاد السودان مما دفع أهل سجلماسة ودرعة إلى طلب مساعدته على التخلص من جور زناتة فاستجاب لهم. وهنا خرجت الدعوة من طابعها المحلي لتأخذ طابعا جهويا فبدأت بذلك الدولة المرابطية.

لقد نجح عبد الله بن ياسين في تحويل دعوة صغيرة في رباط مجهول إلى نواة دولة ستوحد مجمل أراضي المغرب.

### 3-تكوين الإمبراطورية المرابطية

تطلب تكوين الإمبراطورية المرابطية حوالي نصف قرن من الزمان (447-496هـ)، وشارك في العملية أميران اثنان هما أبو بكر بن عمر اللمتوني ويوسف بن تاشفين. وكانت المواجهة بالأساس مع القبائل الزناتية بزعامة مغراوة التي تحكمت في مختلف مناطق المغرب عدا سوس. وقد مرت العملية بثلاثة مراحل:

1- ضم المغرب جنوب فاس
2- ضم المغرب الشمالي
3- ضم الأندلس

### 3-1-ضم المغرب جنوب فاس

لما ذاع صيت المرابطين بقيادة عبد الله بن ياسين كمجاهدين ومحتسبين وعادلين تطلعت إليهم قلوب المسلمين في المغرب لتخليصهم من الظلم والاستبداد، فبعث إليهم

أهل درعة وسجلماسة "يرغبون منهم الوصول لبلادهم ليطهروها مما هي فيه من المنكرات وشدة العسف والجور، وعرفوهم بما هم فيه بها أهل مسعود بن وانودين المغراوي" (ابن أبي زرع، الأنيس، ص.127). وبعد استشارة أصحابه من زعماء المرابطين وافق عبد الله بن ياسين على الاستجابة لاستغاثتهم.

دخل المرابطون درعة في صفر 447هـ/ 1053م فسيطروا على إبل لمسعود بن وانودين المغراوي فأقبل إليهم في جيوشه ووقع الصدام، فانهزم ابن وانودين وقتل ودخل المرابطون سجلماسة وعينوا عليها عاملا. وهنا تقول بعض الروايات إن يحي بن عمر مات في بعض حروبه ببلاد السودان وخلفه أخوه أبو بكر بن عمر (الأنيس) لكن رواية أخرى تجعل وفاته قبل فتح سجلماسة بسنة وهذه؛ ربما، أرجح.

وفي السنة الموالية؛ ومن هناك، اتجهوا نحو سوس وسيطروا على أهم مراكزه خاصة جزولة وماسة وتارودانت حيث قضوا على فرقة الشيعة البجلية التي كانت تتحكم في المنطقة، ثم صعدوا شمالا فضموا شيشاوة ونفيس وجدميوة وبايعتهم رجراجة وحاحة.

وفي عام 449هـ حاصروا مدينة أغمات مركز الحوز الأول، ولما اشتد الحصار على حاكمها لقوط بن يوسف المغراوي أسلمها وفر نحو تادلة إلى بني يفرن حكامها لاجئا. وبعد تنظيم أحوال أغمات التي صارت المركز الرئيسي للدولة الجديدة، استأنف المرابطون زحفهم نحو تادلة فهزموا بني يفرن وقتلوا لقوط المغراوي، وتزوج أبو بكر ابن عمر أرملته زينب النفزاوية.

وبعد استراحة بأغمات انطلق المرابطون نحو تامسنا فاصطدموا ببرغواطة تحت قيادة أبي حفص عبد الله بن أبي عبيد البرغواطي في حروب شديدة أصيب فيها عبد الله بن ياسين بجروح تسببت في وفاته. وبعد دفنه بكريفلة، عاد المرابطون إلى الحرب فهزموا برغواطة وشتتوا رجالها وأبادوا الكثيرين وأخضعوا البلاد عام 451هـ.

وطرح في هذا الوقت مشكل خلافة ابن ياسين، فرواية تقول إن المرابطين بايعوا أبا بكر قائدا عليهم وصار صاحب السلطتين الدينية والسياسية، بينما يذكر القاضي عياض وابن خلدون أنهم عينوا سليمان بن حدو ليتولى الإرشاد محل ابن ياسين، وإذا كان صاحبا الرواية الأخيرة موثوقين مما يدفع لتصديقها فإن واقع الحال أثبت فيما بعد أن صاحب السلطة الأول لم يكن سوى أبا بكر وأن سليمان لم يذكر أبدا في المصادر في اتخاذ القرارات الحاسمة.

وفي عام 452هـ غزا المرابطون بلاد فازاز وبلاد مكناسة بعد استنجاد مهدي الكزنائي بهم ضد تميم بن معنصر المغراوي صاحب فاس.

وفي هذا الوقت وصلت أخبار من الصحراء بشأن اندلاع صراع بين جدالة ولمتونة، فاضطر أبو بكر إلى الرحيل إلى هناك لإصلاح الوضع، لكنه وقبل المغادرة سلم قيادة المرابطين لابن عمه يوسف بن تاشفين اللمتوني وطلق زينب النفزاوية وأمره بالزواج بها. وهنا تنتهي المرحلة الأولى من التوسعات المرابطية. ووافقت هذه اللحظة تمردا للقبائل الزناتية التي سبق إخضاعها.

### 3-2-ضم المغرب الشمالي

وتهم هذه المرحلة التوسع في شمال المغرب وإتمام توحيده تحت السلطة المرابطية. فما إن انفرد ابن تاشفين بالسلطة حتى شمر على ساعد الجد وانطلق في حملات واسعة بمساعدة مجموعة من القواد الأكفاء.

ففي 455هـ، دخل فاس على تميم بن معنصر المغراوي بعد حصار شديد وحروب قوية، ثم رحل إلى غمارة تاركا عاملا لمتونيا على المدينة. واستغل تميم المغراوي الفرصة وعاد إليها وقتل العامل. وفي مواجهة مع المرابطين قتل تميم وخلفه القاسم بن محمد بن عبد الرحمن الزناتي المكناسي ففك حصار المدينة وهزم المرابطين. فاضطر يوسف إلى ترك حصار قلعة مهدي بجبال فازاز لبعض رجاله وقاد جولة عسكرية ضمت بني مراسن

(456هـ) وورغة (458هـ) وبلاد غمارة(460هـ) التي يظهر أنها تساند أهل فاس. وفي عام 462هـ حاصر فاس ودخلها عنوة وقتل كثيرا من زناتة، ووحد العدوتين داخل سور واحد.

وفي 455هـ بايع حاكم مكناس المهدي بن يوسف الجزنائي يوسف بن تاشفين وتركه عاملا عل المدينة، لكنه قتل عندما حاول دعم عامل فاس أمام تميم بن معنصر المغراوي عام 456هـ، فانتقل حكم مكناسة إلى عامل ليوسف بن تاشفين.

وفي 463هـ ضم المرابطون ملوية ووطاط.

وفي 465هت دخلوا الدمنة بأحواز طنجة.

وفي 467هـ أخضعوا غياثة وبني مكود وبني رهينة بأحواز تازة.

وفي 470هـ دخلوا طنجة وقتلوا سقوط البرغواطي حاكم سبتة.

وفي 472هـ غزوا تلمسان على يد القائد مزدلي.

وفي 473هـ فتحوا جرسيف ومليلية وجميع بلاد الريف ونكور التي خربوها تماما.

وفي 474هـ فتحوا وجدة وتنس ووهران وأعمال شليف إلى الجزائر المدينة.

وفي عام 477هـ دخلت سبتة برا وبحرا على ضياء الدين يحي بن سقوط البرغواطي.

لقد صار المغرب تحت السلطة الكاملة ليوسف بن تاشفين الذي كان عليه أن يحل مشكل القيادة أثناء توسعاته، ذلك أن أبا بكر بن عمر عاد من الصحراء وطمع في استعادة السلطة، لكن تصرف يوسف بمشورة من زينب وأتباعه أقنعه بتجنب المواجهة فتنازل عن السلطة ليوسف منذ 467هـ وعاد إلى الصحراء محملا بالهدايا حيث سيقيم حتى وفاته عام 480هـ.

وأثناء التوسع كان يوسف ينظم مملكته ويعطيها سمات الملك، فقد اتخذ عاصمة جديدة (مراكش)، وعين العمال في كل المناطق التي ضمها من بين بني عمومته، وسك

عملة باسمه منذ 473هـ. واستطاع أن يفرض نفسه كقائد أول في المغرب، لذلك تطلعت إليه قلوب الأندلسيين المهددين في وجودهم من قبل قشتالة.

### 3-3-ضم الأندلس

منذ سقوط الخلافة الأموية بالأندلس انقسمت البلاد إلى مجموعة من الإمارات تحت زعامات بربرية وعربية وصقلبية أطلق عليها اسم إمارات الطوائف وأشهرها: إمارات إشبيلية وغرناطة وطليطلة وسرقسطة وقرطبة... لكن الأولى تبقى أقواها. ودخلت في صراعات فيما بينها مما أضعفها وأعطى الفرصة لمملكة قشتالة المسيحية لتفرض عليها الوصاية والحماية، إذ صارت تغير على أراضيها في كل وقت، وتفرض عليها أتاوات سنوية، وتعيرها المقاتلين لضرب بعضها البعض. ولما تولى ألفونسو السادس عرش قشتالة زاد جشعه ولم تعد الأتاوات تكفيه، بل أراد أخذ كل البلاد، فسيطر على طليطلة من يد بني ذي النون عام 478هـ موجها صفعة قوية لملوك الطوائف ليستفيقوا من غفلتهم ويبحثوا عمن يحميهم منه. وأمام ذيوع صيت المرابطين ويوسف بن تاشفين خاصة توجهوا إليه بزعامة أمير إشبيلية المعتمد بن عباد يطلبون دعمه وحمايته. وبعد استشارة الزعماء المرابطين والفقهاء قبل مساعدتهم وفق شروط وترتيبات.

اجتاز يوسف البحر إلى الأندلس عام 479هـ وقاد ملوك الطوائف في حرب ضد ألفونسو السادس انتهت بمعركة الزلاقة الشهيرة التي انهزم فيها القشتالي وطار صيت المرابطين في كل العالم الإسلامي. وبعدها عاد إلى مراكش.

وفي 481هـ عاد الأندلسيون للاستنجاد من جديد من ضرر حصن ليط الذي أقامه ألفونسو6 في شرق البلاد وسط أراضي المسلمين واستغله للإغارة عليهم، فعبر البحر وحاصر الحصن، لكنه اكتشف خلافات ملوك الطوائف وخياناتهم، ففك الحصار وعاد إلى المغرب وقد تغير عليهم.

وفي 483هـ عاد إلى الأندلس فأخذ غرناطة ومالقة من بني زيري (عبد الله وتميم) ونفاهما إلى أغمات. وعاد إلى المغرب بعد أن أوصى قائده سير بن أبي بكر بأخذ كل البلاد.

في عام 484هـ أخذ سير وقواده قرطبة والمرية وجيان وبياسة وأيذة والبلاط والمدور ودخل إشبيلية في 22 رجب 484هـ، ونفى المعتمد بن عباد إلى أغمات. ثم دخل مرتلة ورندة وبطليوس ومرسية ودانية وشاطبة وشقورة. وتأخر أخذ بلنسية حتى عام 495هـ. أما سرقسطة فقد انقذتها هيبته من السقوط في يد قشتالة وبقيت مستقلة في يد التجيبيين.

لقد صارت الأندلس باستثناء سرقسطة مرابطية.

اكتمل بناء الإمبراطورية المرابطية وصارت تمتد من الجزائر شرقا إلى المحيط الأطلنتي غربا ومن حدود طليطلة شمالا إلى بلاد السودان جنوبا، وكان لابن تاشفين الفضل الكبير في تكوينها قائدا وزعيما.

وفي عام 500هـ أسلم يوسف الروح وترك حكم البلاد لابنه علي الذي استمر فيه حتى 537هـ ليخلفه ابنه تاشفين لمدة سنتين ثم حفيده إبراهيم حتى سقوط مراكش في يد الموحدين.

إمبراطورية المرابطين

## 2-الموحدون

### 1-الأساس الجغرافي والبشري للدولة الموحدية

انطلقت الدولة الموحدية من جبال الأطلس الكبير الأوسط والغربي وقامت على أكتاف المجموعة البربرية المصمودية المستقرة في تلك الجبال وبزعامة أحد أبنائها من قبيلة هرغة. فما هي ممبزات هذه الجبال؟ وما هي طبيعة الساكنة المصمودية المقيمة هناك وما هي بعض فروعها؟

يقول ابن خلدون عنها:

"تبتدئ سطورها من ساحل البحر المحيط عند آسفي وما إليها، وتذهب في المشرق إلى غير نهاية. ويقال إنها تنتهي إلى قبلة برنيق من أرض برقة، وهي في الجانب مما يلي مراكش قد ركب بعضها بعضا متتالية على نسق من الصحراء إلى التل."

هكذا تصور أهل العصر الوسيط جبال الأطلس، ويهمنا نحن منها الأطلس الكبير وخاصة منه الجزآن الأوسط والغربي. وهذه جبال حديثة إذ يعود تكوينها إلى الزمن الجيولوجي الثالث بفعل الحركات الالتوائية التي عرفها. وتتميز بارتفاعها العالي حيث تتجاوز جنوب شرق مراكش 4000 م في قمة توبقال ومنها تتدرج الارتفاعات نحو الانخفاض في الاتجاهات الأربع. وتتمير بكثرة القمم الحادة والسفوح الشديدة الانحدار والأودية العميقة مما وفر لسكانها حصانة طبيعية متميزة ساعدتهم على الصمود ووفرت لهم الحماية في كل الأوقات.

وتتوفر هذه الجبال على موارد مائية مهمة ومراعي خصبة إذ "تفجرت فيها الأنهار، وجلل الأرض حمراء الشعراء، وتطابقت بينها ظلال الأدواح، وزكت فيها مواد الزرع والضرع، وانفسحت مسارح الحيوان ومراتع الصيد، وطابت منابت الشجر". (ابن خلدون ج6 ص.298). ويضيف الإدريسي "في كل هذا الجبل كل طريفة من الثمار وغرائب من الأشجار والماء يطرد منه وبوسطه وحوافيه يوجد النبات أبدا مخضرا" (المغرب وأرض السودان، ص.94).

وتوفرت للسكان وسائل الاستغلال فاجتهدوا وزرعوا وغرسوا كل غريبة من النبات والشجر "في هذا الجبل من الفواكه التين الكثير الكبير الطيب المتناهي في الطيب البالغ الحلاوة وفيه العنب المستطيل العسلي الذي لا يوجد في أكثره نوى (...) وفيه الجوز واللوز وأما السفرجل والرمان فيكون به منهما ما يباع الحمل منه بقيراط واحد وله من الإجاص والكمثرى والمشمش كل غريبة وكذلك الأترج والقصب الحلو حتى إن أهل هذا الجبل لا يبيعونه ولا يشترونه لكثرته وعندهم شجر الزيتون والخرنوب والمشتهى وسائر الفواكه. وبهذا الجبل شجر كبير يسمى بالبربرية أرقان" (المغرب وأرض السودان، ص.94-95). ويضاف إلى ذلك إنتاج الحبوب خاصة الشعير والذرة والبقول بمختلف أصنافها. ويمارس السكان أيضا تربية الماشية خاصة الأغنام والماعز والأبقار وبعض الدواب خاصة البغال التي تتحمل صعود السفوح الشديدة الانحدار.

وبهذا الانتاج المتنوع والوافر "استغنوا بقطرهم عن سائر أقطار العالم" (ابن خلدون، ص298)

وسكان الجبل من المصامدة وهم الاتحادية البربرية الثالثة الكبيرة إلى جانب زناتة وصنهاجة. وتضم مصمودة مجموعة كبيرة من القبائل منها: هرغة وهنتاتة وتينمل وغدميوة وكنفيسة ووريكة ورجراجة وهزميرة ودكالة وحاحة وأمادين وواوزكيت وبنو ماكر وهيلانة وغمارة وبرغواطة وسكساوة ...(ابن خلدون، ص.299). ولا تقتصر مواطنهم على الجبال بل امتدت على السهول والهضاب الأطلنتية المغربية بين تامسنا وجبال الأطلس الكبير شرقا وجنوبا.

ومصمودة من المستقرين الذين "اتخذوا المعاقل والحصون وشيدوا المباني والقصور" (ابن خلدون، ص298) بحيث كان في "أعلاه [جبلهم] جمل من قلاع وحصون تشف على نيف وسبعين حصنا" (المغرب وأرض السودان، ص.94) وتعتبر القصور وحدة السكن في بلاد المصامدة خاصة الجبلية. وتسير وفق نظام الجماعة باعتماد أعراف أو تشريعات إسلامية

وتتدخل في كل مناحي الحياة كبيرها وصغيرها. وقد دخل المصامدة الإسلام مبكرا مع عقبة بن نافع وموسى بن نصير وتمسكوا به وكان لهم رجال مشهورون بالعلم والتصوف قبل الموحدين.

وللمصامدة اعتزاز ونخوة ببلادهم ساعدهم عليها امتناع بلادهم وحصانتها. وكانت لهم مع لمتونة حروب وملاحم حتى قيل إن أحد أسباب اختيار موقع مدينة مراكش كان هو التحكم في جبال درن وضبط أهله، ولم يجد ذلك كثيرا فلجأ المرابطون إلى بناء سلسلة من الحصون على المخارج الرئيسية لجبال الأطلس، كما اعتمدوا سياسة صارمة في التعامل معهم خوفا منهم. وكان هذا أحد الأشياء التي حركتهم مع ابن تومرت للثورة وتأسيس الدولة الموحدية.

**2-المذهب الموحدي: دعوة ابن تومرت**

قامت الدولة الموحدية على أساس مذهبي قوي أساسه الدعوة التي أنشأها المهدي بن تومرت والمرتكزة على التوحيد كعنصر محوري. وقد نجح ابن تومرت بعد تحصيل علمي قوي في جمع القبائل المصمودية في تنظيمات اجتماعية وسياسية ساعدته في تربيتها وإعدادها لمشروعه السياسي المتمثل في خلق دولة على أنقاض دولة المرابطين.

كان اسمه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الملقب بأسافو (المشعل) ويلقب بأبي عبد الله والمهدي والإمام المعصوم تبعا لمراحل حياته وتطور دعوته السياسية. وينتسب إلى قبيلة هرغة المصمودية وذهب البعض إلى أنه من سلالة النبي وهو أمر اختلف فيه المؤرخون كثيرا بين مرجح ورافض. وهو من أسرة تشتهر بالنسك والعبادة، وكان أبوه على ما يبدو من اسم أمغار الذي يحمله شيخا لقبيلته، ويلقب بتومرت. وله ثلاثة إخوة هم عيسى وعبد العزيز وأحمد الكفيف وأخت مقربة جدا منه تسمى زينب.

واختلف حول تاريخ ولادته حيث تركزت الروايات بين 469 و 491هـ وبناء على تاريخ وفاته وعمره آنذاك (524هـ 50 أو 55سنة) يمكن حصر ولادته ما بين 469 م و

474هـ.، ورجح عبد المجيد النجار عام 473هـ. وقد ولد ببلد أرغن على السفوح الجنوبية للأطلس الكبير الأوسط بالرغم من أن بعض الروايات تجعله في السوس.

قضى طفولته الأولى وبداية شبابه في بلده، ويبدو أنه استغلها لحفظ القرآن وتحصيل بعض المعلومات الشرعية واللغوية فأظهر نبوغا أعطاه لقب أسافو. وبعدها رحل إلى المشرق لطلب العلم إما عام 499 أو 500هـ. ولا نملك معلومات حول خط رحلته، لكن تحريات الباحثين قدمت مسارا على الشكل التالي:

إيجلي نوارغن ـــــ مراكش ـــــ فاس ـــــ قرطبة ـــــ المهدية ـــــ الإسكندرية ـــــ مكة ـــــ الشام ـــــ العراق.

وقد قضى في المشرق عشر سنوات لا نملك كثيرا من التفاصيل عنها، لكن ما ورد عن بغداد دون غيرها يجعلنا نعتقد أنه جعلها وجهته الرئيسية والمفضلة ومصدر علمه وطلبه. ولا يمنع ذلك من كونه قام برحلات قصيرة إلى بعض مدن العراق وفارس. ولا تعطينا مصادرنا إلا معلومات عامة حول شيوخه الذين احتفظت بأسماء بعضهم مثل: أبو حامد الغزالي والكيا الهراسي والمبارك بن عبد الجبار وأبو بكر الشاشي وأبو بكر الطرطوشي وأبو عبد الله محمد بن منصور الحضرمي.

وعاد إلى المغرب "بحرا متفجرا من العلم، وشهابا واريا من الدين" كما قال ابن خلدون، وصاحب فكر ومبدإ شرع في تبليغه منذ بدأ رحلة العودة التي انطلقت من مكة مرورا بالإسكندرية والمهدية وبجاية وتلمسان وفاس ومكناس وسلا ومراكش. لقد كان يعلم ويرشد ويعظ ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر واصطدم مع سلطات هذه المدن وعامتها أكثر من مرة وتعرض للطرد وكاد أحيانا يقتل، لكنه كان يصر على مواصلة عمله، وكان في كل مرة يفلت وكأن الرعاية الإلهية كانت تدخره للقيام بمهمته التي تجند لها. ولما خرج من مراكش هاربا من حاشية علي بن يوسف ووصل أغمات كان قد قرر مستقبل عمله.

كان لابن تومرت تكوين علمي متين ارتكز على ثقافة يطبعها الجدل والتأصيل والتعاطي مع فروع علمية لم تكن رائجة بقوة في المغرب خاصة أصول الفقه والحديث وعلم الكلام والاختلافات المذهبية، وزادتها قوة قدرته العالية على التأصيل واستحضار نصوص القرآن والسنة. وهذا التكوين والمنهج مكناه من التغلب على كل من ناظروه سواء في بجاية أو فاس أو مراكش وقرب إليه الأتباع وأكسبه تعاطف الزعماء وحماه من بطشهم.

ويقوم نهج ومذهب ابن تومرت على مجموعة من العناصر أهمها:

*الاعتماد على الكتاب والسنة لفهم الدين

*التركيز على توحيد الله وتنزيهه عن كل تشبيه له وتجسيم كما يفعل المرابطون الذين سماهم بالمجسمة. (أعز ما يطلب، ص.223)

لَاإِلَهَ إِلاَّ الـذي دلَّتْ عَلَيْه المَوْجـودَاتُ، وَشَهِدَتْ عَلَيْه المَخْلُوقَاتُ، بِأَنَّهُ جَلَّ وَعَلاَ، وَجَبَ لَهُ الـوُجُودُ عَلَى الإِطْلاَقِ مِنْ غَيْرِ تَقْيِيـدٍ وَلاَ تَخْصِيـصٍ بِزَمَانٍ ،وَلا مَكَانٍ، ولا جِهَةٍ، وَلاَحَدٌّ وَلاجِنْسٍ، ولاصُورةٍ، ولا شَكْلٍ، ولا مِقْدَارٍ، ولا هَيْئَةٍ، وَلاَحَالٍ. أَوَّلٌ لاَ يَتَـقَيَّـدُ بِالقَبْلِـيَّةِ، آخِرٌ لايَتَقَيَّدُ بِالبَعْدِيَّةِ، أَحَدٌ لا يَتَقَيَّدُ بِالأَيْنِـيَّةِ، صَمَدٌ لا يَتَقَيَّدُ بِالـكَيْفِيَّةِ، عَزِيـزٌ لاَ يَتَقَيَّدُ بِالمِثْلِيَّةِ، لاتَحُدُّهُ الأَذْهَانُ، وَلا تُصَوِّرُهُ الأَوْهَامُ، ولاَ تُلْحِقُهُ الأَفْكَارُ، ولاتُكَيِّفُهُ العُقُولُ، لا يَتَّصِفُ بِالتَّحيُّزِ والانْتِقَالِ، ولا يَتَّصِفُ بِالـتَّغَيُّرِ والـزَّوالِ، وَلا يَتَّصِفُ بِالجَهْلِ وَالاضْطِرارِ، ولايَتَّصِفُ بِالـعَجْزِ والافْتِقَارِ، لَهُ العَظَمَةُ والجَلاَلُ، وَلَهُ العِزَّةُ والكَمَالُ، ولَهُ العِلْمُ وَالاخْتِيَارُ، ولَهُ المُلْكُ وَالاقْتِدَارُ، وَلَهُ الحَيـاةُ والـبَقَاءُ، وَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى، واحِدٌ فِي أَزَلِيَّتِه، لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ غَيْرُهُ، ولا مَوْجُودٌ سِواهُ، لا أَرْضٌ ولا سَمَاءٌ، ولا مـاءٌ ولا هَوَاءٌ، ولا خـلاءٌ، ولامَلاءٌ، ولانُورٌ ولا ظَلامٌ، ولاَ لَيْلٌ ولاَنَهَارٌ، ولا أَنِيـسٌ ولا حَسِيـسٌ، ولارزٌ ولا هَمِيـسٌ، إِلاَّ الـواحِدُ الـقَهَّارُ، انْفَرَدَ فِي الأَزَلِ بِالـوَحْدَانِيَّةِ والمُلْكِ وَ الأُلـوهِيَّةِ، لَيْسَ مَعَهُ مُدَبِّرٌ فِي الخَلْقِ، ولا شَرِيـكٌ فِي المُلْكِ، لَهُ الحُكْمُ والـقَضَاءُ، وَلَهُ الحَمْدُ والـثَّنَاءُ، لا دافِعَ لِمَا قَضَى، ولا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى، يَفْعَلُ فِي مُلْكِه مَا يُرِيـدُ، وَيَحْكُمُ فِي خَلْقِه مَا يَشَاءُ، لاَ يَرْجُو ثَوابـاً ولا يَخَافُ عِقَابـاً، لَيْسَ فَوْقَهُ آمِرٌ قَاهِرٌ، ولا مَانِعٌ زَاجِرٌ، لَيْسَ عَلَيْه حَقٌّ، ولا عَلَيْه حُكْمٌ، فَكُلُّ نِعْمَةٍ مِنْهُ فَضْلٌ، وكُلُّ نـقْمَةٍ مِنْهُ عَدْلٌ، لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وَهُمْ يُسْأَلونَ.

---

(1) هذا النص غير مدرج في (أ).

*اعتماد فكرة المهدوية إذ اعتبر نفسه منذ 518هـ المهدي المنتظر المعصوم الذي يأتي في آخر الزمان لينشر العدل ويزيل الظلم والجور. (عنان. عصر المرابطين، ص.209)

وليس ذلك فقط ، فإن طاعة المهدى ، والاستسلام إليه ، إن هى إلا طاعة الله ورسوله ذاتها ، « فإن سنة المهدى هى سنة الله ورسوله ، وأمره أمر الله ورسوله ، وطاعته طاعة الله ورسوله ، والانقياد له الانقياد إلى الله ورسوله ، وموافقته موافقة الله ورسوله ، وتعظيم حرماته تعظيم حرمات الله ورسوله . هو أعلمهم بالله ، وأقربهم إلى الله ، به قامت السموات والأرض ، وبه كشفت الظلمات ، وبه تدفع الأباطيل ، وبه تظهر المعارف ، وبموافقته تُنال السعادة ، وبطاعته تنال البركات»[1] .

*الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المبدأ الذي تمسك به منذ أن بدأ رحلة العودة من المشرق.

ولما استقر وسط أهله في إيجلي نوارغن؛ وكان قد اتخذ قراره بمواجهة المرابطين وإسقاط حكمهم الظالم منذ حلوله بأغمات واقتناعه برفضهم التغيير والاصلاح، بدأ في جمع الأتباع وأرسل أصحابه الذين جمعهم وكونهم في طريق عودته إلى القبائل يبثون أفكاره ويدعونهم إلى اتباع مهدي آخر الزمان. واعتمد في تكوين الأتباع على منهج تربوي يسهل تبليغ أفكاره باستخدام اللغة البربرية (اللسان الغربي) في التدريس والتأليف واعتماد طرق سهلة للحفظ والالزام بالمواظبة والحضور للتعلم والحفظ (الجزب) والصلاة، وكل تهاون يواجه أولا بالتعزير والضرب بالسياط وعند الاصرار بالقتل. وحاول تكسير الروابط الدموية وتعويضها بروابط الدين والمذهب فتشدد في عقاب كل من يداهن على قريبه كما أسند عقوبة المخالفين إلى قرابتهم. وحتى يضمن تماسك جماعته آخى بين أتباعه من غير المصامدة وأبناء قبائل مصمودية فألحقهم بها، وحتى يصفي جماعته من الضعاف والخونة والمترددين لجأ إلى الميز (استعراض الموحدين وفرزهم حسب الصدق للجماعة الجديدة – الونشريسي- مرتان) فقتل اعدادا كثيرة من المشككين والمعارضين، بل إنه قتل أهل تينمل لمعارضتهم لمشروعه.

وحتى يضبط أتباعه اعتمد على تنظيم دقيق قسم بموجبه أتباعه إلى طبقات أهمها: (معيار السبق والدور في الدعوة)

*أهل العشرة: أقرب أصحابه إليه وأهل مشورته الأساسيين منهم البشير وعبد المومن.

*أهل الخمسين وأهل السبعين

*طلبة العلم

*الحفاظ

*أهل الدار

*أهل قبيلة هرغة

* " " تينمل

* " " جدميوة

* " " جنفيسة

* " " هنتاتة

*الجند

*الغزاة والرماة

*عبيد المخزن

وستضاف إليها طبقات أخرى فيما بعد. ولكل طبقة مهمة ومرتبة محددة لا تتجاوزها في لا السفر ولا في الحضر، كما أنها مفتوحة لالتحاق عناصر جديدة. وبهذه الجماعة المتماسكة والمتحمسة بدأ حربه مع المرابطين.

وقد رافق تكوين الأتباع شن حملة شديدة على المرابطين كأعداء سياسيين؛ والتي بدأت على ما يرجح، في مدينة أغمات عندما اقتنع أنهم غير مستعدين للإصلاح والتغيير إثر المقاومة التي أبدوها لأفكاره ونصائحه ومحاولتهم الفتك به. فأعلن هناك أنهم فاسدون وأوجب ضرورة

تغييرهم بجماعة أحسن منهم، فكان كما يرجح لا يمر بقبيلة في طريقه إلى إيجلي نوارغن إلا ودعاها لذلك وانتدبها لليوم الموعود.

توجه نقد المهدي للمرابطين نحو إظهار عيوبهم بكل الوسائل والعبارات المتوفرة، فهم الجماعة التي ضيعت الإسلام حتى صار غريبا وفي عهدها ستظهر الجماعة التي ستعيده إلى سابق عهده بزعامة مهدي آخر الزمان الذي تنطبق كل صفاته عليه. وهم مجسمون جاهلون وناكرون للتوحيد وظالمون جائرون يستحلون أموال الناس بالباطل ويأكلون أموال اليتامى والأرامل ويحكمون بالجور والظلم ويحيدون عن الحق وهم متبرجون (لقب حشم) عراة وحفاة مكثرون من العمران والترف مما يؤذن بذهاب دولتهم. وهم كاذبون مفترون. وظل يردد هذه الانتقادات في كل المناسبات والمحافل حتى اقتنع بها هو قبل أتباعه.

لما ذاع صيت المهدي وكثر أتباعه أحس علي بن يوسف بخطره فبدأ يرسل إليه غزوات للقبض عليه (عامل سوس – أبو إبراهيم إسحاق – سير بن مزدلي وغيرهم) بلغ عددها ما بين 516 و 518هـ تسع غزوات كانت كلها للموحدين غير اثنتين (هسكورة – أنسا). وكان المهدي يواجه في نفس الوقت المرابطين والقبائل المصمودية التي رفضت الانضمام إليه وحالفت المرابطين مثل هسكورة. ويبدو أن هذا الوضع انتهى مع مطلع عام 518هـ عندما استقر في تينمل (بلد هزميرة) كعاصمة له وسط القبائل المصمودية، وامتد نفوذه على جبال الأطلس الكبير والسوس.

انتقل بعد ذلك إلى الهجوم، فبدأ بتصفية صفوفه من خلال عملية التمييز التي قادها أبو محمد البشير وأودت بحياة آلاف من المشككين في عصمته وضعافي الولاء له. ووقعت مجموعة من المعارك يصعب ضبطها كلها. لكن المهدي فضل حتى هذا الوقت ترك مبادرة الهجوم للمرابطين والاستعانة بالجبل لهزمهم. وفي عام 520هـ أرسل حملة بقيادة البشير إلى ناحية أغمات وهزمت ثلاث جيوش مرابطية (أبو الطاهر تميم- يطي- أهل أغمات والنواحي) متتالية وطردتهم حتى أسوار مدينة مراكش، ثو انسحب البشير إلى تينمل. وقرر علي بن يوسف بعدها محاصرة الجبل بمجموعة من القلاع من إنشاء الفلاكي الأندلسي. وفي 524هـ، قرر

المهدي تنظيم حملة ضخمة على مراكش أملا في إسقاط المرابطين. وشارك فيها البشير وعبد المومن، ونجح الموحدون في دفع المرابطين حتى أسوار مراكش الجنوبية عند باب الشريعة، وحاصروا المدينة لمدة أربعين يوما حصلت خلالها عدة معارك كان معظمها للموحدين. لكن المرابطين توصلوا بالدعم من النواحي وخرج المحاصرون ووقعت معركة البحيرة التي فني فيها جيش الموحدين(40000رجلا)

ومن هؤلاء غير البشير ، اربعة من اصحاب المهدى العشرة ، هم سليمان بن مخلوف الحضرمى ، وأبو عمران موسى بن تمارى الكدميوى ، وأبو يحيى بن يكيت ، وأبو عبد الله محمد بن سليمان . ومما هو جدير بالذكر أن البشير لم يعثر له بأثر ، ولم توجد جثته ، فذاع بين المتعصبين من المصامدة أنه رفع إلى السماء[1]. ولكن الحقيقة

(عنان عصر المرابطين، ص.189، والخريطة، ص.187.)

ولم ينج منهم إلا 400 رجل منهم عبد المؤمن، وهو الحدث الذي علق عليه المهدي بأن لا أحد فقد ما دام عبد المؤمن حيا. وبعدها بقليل مات المهدي بن تومرت وبايع أصحابه عبد المؤمن سرا ليواصل عمل شيخه.

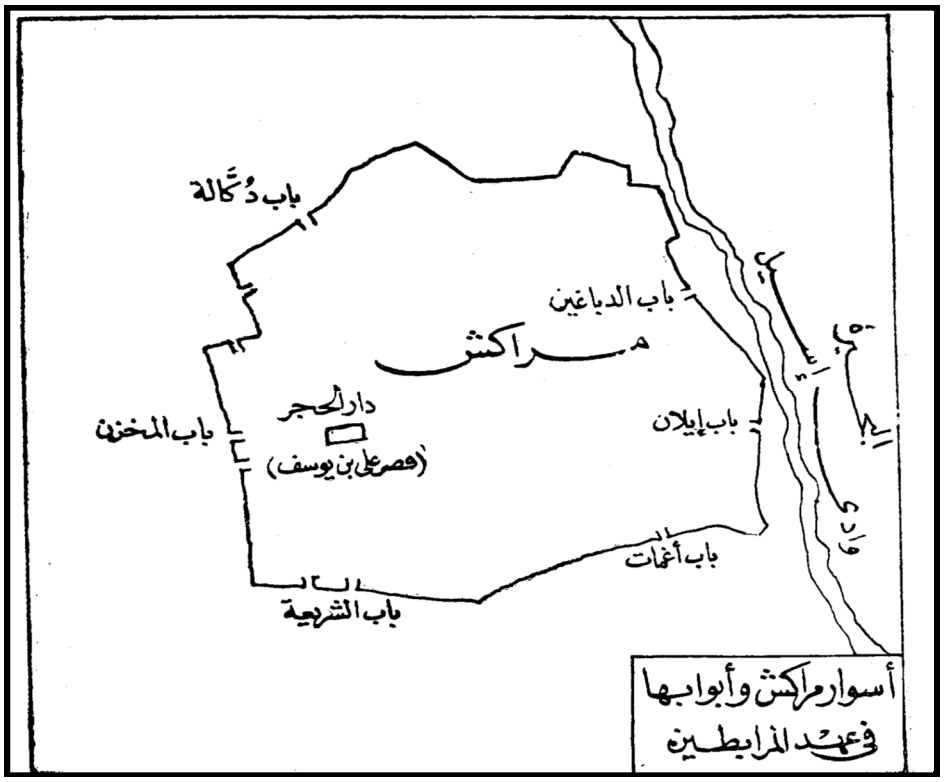

لقد نجح ابن تومرت في تكوين دولة صغيرة على الأطلس الكبير الأوسط والسوس وجرب مواجهة المرابطين، مما أعطى الثقة للأتباع للاستمرار تحت قيادة خليفته، وتكوين الإمبراطورية الموحدية.

### 3-تكوين الإمبراطورية الموحدية

تطلب تكوين الإمبراطورية الموحدية وقتا طويلا تجاوز النصف قرن شمل توسعات خليفة المهدي بن تومرت عبد المومن بن علي الكومي وابنه أبي يعقوب يوسف. وامتدت دولة الموحدين في اقصى توسعها على كل بلاد الغرب الإسلامي بمغاربها الثلاث والأندلس. فما هي مراحل التوسع؟ وما هي إنجازات كل مرحلة؟

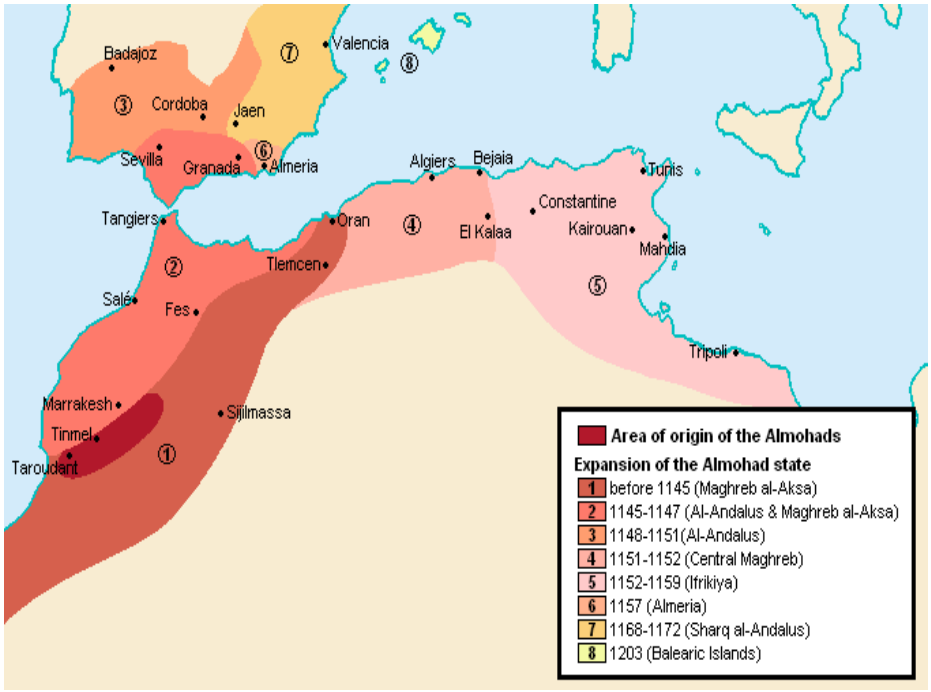


خريطة: مراحل تكوين الإمبراطورية الموحدية

### 3-1-توحيد المغرب

عقب وفاة المهدي بويع عبد المومن بن علي الكومي الزناتي أحد أصحابه العشرة والذي رافقه في رحلة عودته من المشرق من مدينة ملالة قرب بجاية في المغرب الأوسط. وقد صار من طلبته المقربين وأهل ثقته وأحد قواد حركته. واختلف حول ظروف بيعته، فرواية تقول إن المهدي أوصى ببيعته قبل موته ونفذ أصحابه الوصية، ورواية تقول إنه بايعه في حياته فأكدت بيعته بعد وفاته، ورواية ثالثة تقول إن أصحابه هم من بايعوه بعد وفاة الشيخ وتشاور بينهم. ويظهر أن رواية ترشيح الشيخ له لخلافته أقوى سواء بايعه قبل موته أو أوصى بذلك. وتؤكد الروايات أن جماعة الموحدين أخفت وفاة المهدي حتى 527هـ حرصا على وحدتهم وتجنبا للفرقة والصراع حول الزعامة، ولما تأكدوا من متانة وحدتهم أعلنوا وفاة المهدي ومعها خلافة عبد المومن.

بعد ترتيب أمورهم بدأ الموحدون في عمليات توسع وتركزت جهوده في البداية على مجال المصامدة في الأطلس الكبير وبلاد درعة وسوس.

ففي عام 526هـ غزا عبد المومن درعة وهزم المرابطين (تحت قيادة يدر بن ولجوط أو يحي بن مريم) في حصن تازاجورت وضم البلاد كلها. ودخل حصن تاسغيموت في بلاد هزرجة وحصن جلاوة وأرض غجدامة. واشتد الصراع مع المرابطين حول سوس حيث أخذ منهم أمسكروط وتارودانت ومعظم البلاد.

وفي عام 533هـ غزا عبد المومن حاحا وهزم تاشفين بن علي والقائد الريبرتر وضم البلاد وانضمت إليه جزولة.

استهدف الصراع في هذه المرحلة توحيد المصامدة كقاعدة خلفية للموحدين وحماية ظهر دولة الأطلس من الجنوب بضم سوس ودرعة.

وبعد هذا دخل في مرحلة ضم القبائل الأخرى والمجال الأبعد، فقرر تنظيم حملته الكبرى التي امتدت ما بين 534 و541هـ بدخول مراكش. وقد اختار سلوك الطريق الجبلية وتجنب مواجهة المرابطين في المناطق السهلية. ولما سمع علي بن يوسف بالحملة قرر مسايرة الموحدين على حدود الجبل ومراقبتهم ومنعهم من النزول إلى السهول. وكانت خطة عبد

المومن تقتضي كسب ولاء القبائل الجبلية وتجنب قدر الاستطاعة مواجهة أو حصار المرابطين.

بدأت الحملة من تينمل في اتجاه الشرق حيث مرت ببلاد مسفيوة وهسكورة (تاساوت ودمنات) وتادلة (ووزغت وتاكرارت داود بن عائشة وداي (وبلاد فازاز (قلعة مهدي وأزرو). ومن أزرو قاد حملة نحو الجنوب الشرقي وضم غريس وتدغة بينما تجنب سجلماسة، ثم عاد إلى فازاز ومنها إلى صفرو وتازة (536هـ) ومنها إلى الريف (غمارة وواد لباو وقلعة بادس وتمسمان ومليلة) ومنه إلى غرب المغرب الأوسط (ندرومة وتاجرا ووهران وتلمسان 539هـ) وهنا قتل الريبرتر وعلي بن يوسف وأفشل تدخل بجاية لدعم المرابطين. وبعد هذا النجاح قرر عبد المومن مواجهة المراكز الحضرية الكبرى فاتجه إلى فاس مرورا بوجدة وكرسيف ودخلها بعد حصار عام 540هـ ودخل مكناس وسلا وأزمور ودكالة ثم مراكش التي حاصرها قبل دخولها في شوال 541هـ (27). وبذلك قضى على المرابطين ووحد المغرب.

في عام 543هـ ضم سجلماسة.

كان على الموحدين قبل ضمان حكم البلاد إخماد الثورات المضادة التي تفجرت عامي 542 و543هـ في معظم السهول الأطلنتية وسبتة وكادت تقضي على دولتهم.

ربع قرن من الزمان لضمان وحدة المغرب تقريبا.

### 3-2- ضم الأندلس

بدأت اتصالات الأندلسيين بالموحدين منذ وقت مبكر وحتى قبل تفردهم بحكم المغرب. وتقول الروايات إن وفودا أندلسية اتصلت بعبد المومن وهو في حصار تلمسان (مالقة 539هـ) أو عند دخوله فاس (بيعة قائد أسطول قادس علي بن ميمون 540هـ). واستغل عبد المومن الفرصة للدعاية لحكمه ومنع الدعم من الأندلس خاصة الأسطول فأرسل قوات موحدية إلى الأندلس حتى قبل دخول مراكش. وقد نجحت في ضم طريف والجزيرة الخضراء وبلاد غرب الأندلس (شريس- لبلة- ميرتله- شلب- باجة- بطليوس) وإشبيلية بعد حصار عام 541هـ، وقد ثارت ثم أعيد إخضاعها بعد سنتين.

في عام 543هـ سلم يحي بن غانية اللمتوني قرطبة للموحدين وضموا أيضا قرمونة وجيان وبياسة وأبذة.

وفي عام 551هـ سلم ميمون بن يدر المرابطي غرناطة للموحدين.

552هـ استرجوا المرية من أراغون بعد حكم عشر سنوات.

وفي عام 566هـ استولى أبو يعقوب على بلنسية والمناطق الشرقية من ورثة سعد بن مردنيش بعد حرب شرسة.

في عام 578هـ ضمت جزر البليار من بني غانية.

ضمت الأندلس بمجهود أكبر ووقت أطول من المغرب.

### 3-3-ضم المغربين الأوسط والأدنى

كانت بجاية قد تدخلت في صراع عبد المومن مع المرابطين وحاولت مساعدتهم عند حصار تلمسان بإرسال حملة بقيادة ميمون بن المنتصر الذي انهزم أمام عبد المومن. ويذكر البيدق أنه فر ولما وصل إلى متيجة أرسل إلى عبد المومن إعلان توحيده "وقال له إن أنت استفتحت المغرب فتجيء إلى المشرق تصيبه مفتوحا وأنا قائده" (أخبار59). وتذكر مصادر أخرى اسم قائد آخر يسمى كباب. ويظهر أن هذه الأحداث قد جعلت عبد المومن يقرر فتح المغرب الأوسط ولذلك نظم حملة سرية وسريعة عام 547هـ انتهت بدخول سهل لبجاية وكل بلاد بني حماد.

كانت معظم مدن إفريقية وعلى رأسها المهدية (543هـ) قد احتلت من قبل النورمانديين ملوك صقيلية، ففر أميرها الزيري الحسن بن على بن يحي الصنهاجي نحو الجزائر واستوطنها، ولما دخلها عبد المومن بايعه وصاهره ورافقه إلى مراكش. وفي عام 554هـ نظم عبد المومن حركته التي فتحت كل بلاد إفريقية وحررت المدن المحتلة وعلى رأسها المهدية في السنة الموالية.

### خاتمة

خلال نصف قرن صار كل الغرب الإسلامي تحت حكم الموحدين من برقة شرقا إلى المحيط غربا ومن شمال قرطبة شمالا إلى الصحراء جنوبا. وكان هذا أوج توسع لدولة مغربية.

## 3-المرينيون

امتد عمر الدولة المرينية ما بين القرنين 7هـ/13م و9هـ/15م وغطت في بعض الأوقات كل شمال إفريقيا وجزءا من الأندلس. وبالرغم من نقط التشابه التي تجمعها بالدول المغربية السابقة من ناحية الأساس البشري والجغرافي، فإنها انفردت ببعض العناصر التي ميزتها عنها خاصة فيما يتعلق بالأساس الإيديولوجي والمذهبي الذي قامت عليه والذي سيؤثر سلبا على مستقبلها. وقد مرت بعدة أطوار ومراحل تناوبت فيها مظاهر القوة والضعف، وتدخلت عناصر غريبة للتأثير في مسارها.

### 1-أصل المرينيين ونمط عيشهم

المرينيون فرع من زناتة من الجيل الثاني حسب التقسيم الخلدوني. وتختلف المصادر حول تحديد مواطنهم بحيث نجد اقتراحات وآراء مختلفة نجملها فيما يلي:

- تمتد بلاد بني مرين من جنوب القيروان حتى صحراء بلاد السودان (بلاد الجريد - بلاد الزاب - إفريقية)
- مواطنهم ما بين سجلماسة وفكيك في الجنوب وملوية في الشمال مع توغل حتى بلاد الزاب (ابن خلدون)
- من بلاد الجريد حتى المغرب مرورا ببلاد الزاب وتاهرت وجهات تلمسان (ابن مرزوق)
- مجال بين تلمسان وتاهرت (الحلل الموشية).

يلاحظ؛ وبالرغم من الاختلاف في التفاصيل، أن كل التحديدات تجعل مجال القبيل يمتد من جنوب إفريقية ببلاد الجريد حتى ملوية بالمغرب الأقصى مرورا بالزاب ونواحي تلمسان وفكيك وسجلماسة. وهذا مجال شاسع يصعب أن يقيم فيه قبيل بشكل دائم مما يدفع إلى التفكير في كونه مجال ترحاله الموسمي بحثا عن المراعي تبعا للفصول والسنين. فنظام المعيشة والاقتصاد القائم على تربية الإبل والماشية يقتضي رحلتين في السنة. رحلة إلى الجنوب خلال فصل الشتاء وتتجه نحو واحات سجلماسة وبلاد الزاب والجريد (حسب

السنين وربما يقسم القبيل إلى مجموعات تتجه كل واحدة نحو منطقة واحدة) حيث تكون الحرارة معتدلة وتنعدم الثلوج ويتوفر بعض الكلإ بفضل نظام السقي وقصر الدورة النباتية للنباتات بحيث تنمو بمجرد سقوط أولى الأمطار موفرة كلأ للماشية في فصل الشتاء القاسي. ورحلة إلى الشمال خاصة إلى ملوية خلال فصل الصيف حيث تعتدل الحرارة ويتوفر الماء والكلأ (هذا نظام متوسطي ما تزال بعض آثاره باقية حتى اليوم).

وبناء على هذا التصور تكون المواطن التي حددت للقبيل هي مجال تحركه طيلة السنة ولا يقتضي تملكا له بل فقط مجموعة من التحالفات والاتفاقيات مع القبائل التي تنتشر به وتستغله.

ويقوم نمط عيش هذه القبائل على الترحال وتربية الإبل والماشية كما يحدده هذا الكلام لابن خلدون:

"لا يعمرون إلا القفار، ولا يؤدون لسلطانهم بدرهم ولا دينار، ولا يدخلون تحت حاكم ولا سلطان، ولا يرضون بذل ولا هوان، لهم همم عالية ونفوس إلى المعالي سامية، لا يعرفون الحرث ولا التجارات، ولا يشتغلون بغير الصيد والغارات، جل أموالهم الإبل والخيل، ودأبهم الحرب وخوضان الليل، وشيمتهم إكرام الضيف وضرب أعدائهم بالسيف" (ج7).

يحدد النص مكونات نمط معيشتهم في:

- الترحال
- تربية الإبل والخيل والصيد (والماشية أيضا)
- جهل بالزراعة والتجارة
- الإغارة على الجيران وقطع الطرق ونهب القوافل
- شيم: إكرام الضيف والشجاعة
- عدم الخضوع لسلطان: لا ولاء ولا جباية

مجال ونمط حياة يؤهلان صاحبهما للتعرف على أحوال المغرب والاحتكاك بكل قواه السياسية؛ وربما، فهم بعض الأمور السياسية، ويضمن له حرية التحرك والتصرف حسب الظروف. ويفتح شهيته لغزو مناطق الخصب (أزغار).

## 2-نشأة الدولة المرينية

تعرف المرحلة الأولى من عمر الدولة غموضا كبيرا ولا تتوفر حولها إلا معلومات نادرة جدا. ففي عهد المرابطين كان يقودهم المخضب بن عسكر، وكان يغير بهم على أراضي الدولة مما اضطرها إلى مهادنته ومصانعته بالهدايا. ولما جاء الموحدون ساندهم في قتال زناتة الموالية للمرابطين، لكن ولسبب مجهول انقلب عليهم فجأة وأغار على غنائم عبد المومن التي حصلها من تلمسان ووهران، إلا أن الموحدين هزموه وقتلوه سنة 540هـ. وبعدها انسحبت القبيلة بزعامة أبي بكر بن حمامة (ت561هـ) إلى الصحراء قبل أن يبايع خلفه وابنه محيو الموحدين ويشارك في جيوشهم. وقد كان حاضرا في معركة الأرك التي جرح فيها جروحا مات منها بالزاب. وخلفه ابنه عبد الحق وشارك في هزيمة العقاب. وبعد هذه المعركة تغيرت مشاريع المرينيين السياسية دون معرفة سبب ذلك بدقة، مما يدعو إلى وضع مجموعة من الافتراضات ومنها:

- الرغبة الدفينة عند الرحل في السيطرة على الأراضي السهلية الخصبة لذلك استقروا في الريف الجنوبي شمال تازة منذ سنة 610هـ
- اضطراب أحوال البلاد بفعل الجفاف الذي عرفته هذه الفترة، فوقع صراع حول المراعي مما دفعهم إلى السيطرة على هذه المناطق.
- ضعف القبائل المغربية نتيجة الجفاف وهزيمة العقاب وكذلك عجز الموحدين عن ردع الرحل والحفاظ على النظام العرفي القائم بين الرحل والمستقرين، مما فسح المجال للرحل للسيطرة النهائية على المراعي والاستقرار بها.
- انفلات زمام القبائل العربية ومنعها لبني مرين من التنقل نحو الزاب والجريد، مما أجبرهم على الاستقرار بالريف وملوية العليا.
- تمرد مبكر على الموحدين وفرارهم من سيطرتهم طيلة ثلثي قرن

كل هذه العوائل قد تفسر كليا أو جزئيا هذا التحول.

بدأ توسعهم ببلاد الريف (610-613هـ)، وهزموا قوات المستنصر بوادي نكور، وأسروا والي فاس أبا إبراهيم بن يوسف بن عبد المومن قبل إطلاق سراحه، ثم احتلوا تازة. وفي عام 616هـ، أعلن أبو سعيد عثمان بن عبد الحق خلع طاعة الموحدين وضم تسول ومكناسة وبطوية وبطلاسة وكزناية وغياثة وبني مكود...وفي سنة 620هـ، غزا بلاد فازاز، وبذلك صارت أراضيه تمتد ما بين ملوية وسلا. وفي عام 638هـ، واجه المرينيون تحت قيادة محمد بن عبد الحق (تولى عام 637هـ) الموحدين قرب مكناس وهزموهم، لكن السعيد رد عليهم وهزمهم قرب فاس عام 641 أو 642هـ وقتل زعيمهم، فانسحبوا نحو تازة وبايعوا أبا بكر بن عبد الحق.

المرحلة الثانية (مرحلة المدن) بدأت بعد الحصول على الدعم الحفصي فأخذوا مكناس عام 643هـ قبل أن يفقدوها بعد سنتين ويضطروا إلى بيعة السعيد ومساندته ضد بني عبد الواد. إلا أن هزيمة السعيد ومقتله على يد يغمراسن عام 646هـ، دفعت أبا يحي المريني إلى قطع الطريق على فلول الجيش الموحدي ونهبها قرب كرسيف وضم الأغزاز والمرتزقة المسيحيين إلى جيشه. وبعدها فتح مكناس وملوية الوسطى وفاس، ولما ثارت عليه في السنة الموالية أخضعها بقوة وعاقب الزعماء بالغرم ومصادرة الأملاك والقتل (648هـ). وفي سنة 648هـ هزم المرتضى قرب مكناس واحتل فازاز وسلا والرباط في السنة الموالية مؤقتا. وفي عام 653هـ، هزم المرتضى ثانية قرب فاس وعقد معه صلحا وهدنة. وفي هذا العام أو في 655هـ ضموا درعة وسجلماسة قبل موت أبي يحي عام 656هـ والذي أعقبته صراعات داخلية بين المرينيين.

بعد تصفية المشاكل الداخلية وانفراد يعقوب بن عبد الحق بالسلطة عام 658هـ، دخل المرينيون مرحلة السيطرة النهائية على المغرب وإسقاط الموحدين. وقد بدأوا باحتلال سلا وتامسنا وأنفا، وعقد صلح مع المرتضى يقسم المغرب بموجبه بين الطرفين يفصل بينهما نهر أم الربيع. وحاولوا دخول مراكش نهائيا وحاصروها أكثر من مرة (660 و663هـ)، ثم استخدموا أبا دبوس المتمرد الموحدي لضرب الموحدين، وبعد صراعات وخلافات تمكن يعقوب من

دخول مراكش عام 668هـ، وفي السنة الموالية ضم السوس ودرعة. وفي عام 672هـ، دخل طنجة وضم سبتة بصلح مع العزفيين وأخيرا سجلماسة عام 673هـ.

وبذلك صار المرينيون حكاما شرعيين للمغرب وبدأ عملهم في التشييد على جميع الأصعدة.

### 3-الدولة في طور القوة

حاول المرينيون أن يجدوا أسسا تدعم سلطتهم وتقنع الرعية بشرعية حكمهم فبحثوا عنها في:

- البحث عن أصل عربي من خلال ربط زناتة بقيس عيلان ومن ثم إيجاد قرابة مع النبي.
- الانتماء للبيت النبوي وقد جاء متأخرا في عهد أبي الحسن، لكن الأندلسي الذي حاول الدفاع عنه لم يجد تشجيعا من السلطان أبي الحسن.
- اعتبار أنفسهم ورثة للمرابطين وتشبههم بهم في كل شيء، بل حتى تقليد الموحدين في كثير من الأمور.
- تعريب الإدارة والجيش (رياح والخلط)
- فرض اللغة العربية كلغة رسمية ووحيدة
- تطوير وتشجيع الحياة الدينية من خلال:

* تبني المذهب المالكي وإعادة إحيائه ونشره (التعليم-بناء المدارس-تشريع مالكي موحد)

* تنظيم ركب الحج الرسمي

* الاحتفال بالمولد النبوي

* احتضان التصوف ببناء زوايا موالية للدولة في عهد يعقوب المنصور وأبي عنان.

* بيعة الحفصيين ورثة الخلافة الموحدية والتوسع تحت لوائهم منذ أربعينيات القرن السابع الهجري

* الاهتمام بالشرفاء وتوقيرهم وتخصيص العطاء لهم وتقديمهم في المجالس.

وقد انطلق هذا العهد بدخول يعقوب المريني مراكش وإسقاط الموحدين وعمل منذ البداية على توطيد أسس دولته وإعطائها الرموز الضرورية من خلال مجموعة من الإجراءات منها:

- تلقب بلقب أمير المسلمين بدل أمير المؤمنين تشبها بالمرابطين في إطار تبعية رمزية للحفصيين.
- تعيين ولي عهد سنة 669هـ (أبو مالك) أولا، ولما مات عين يوسف مكانه بعد سنتين.
- بناء عاصمة جديدة للدولة وهي المدينة البيضاء أو فاس الجديد عام 674هـ غرب مدينة فاس الإدريسية، وأقيمت بها الدواوين والقصور ومساكن رجال الدولة بعيدا عن فاس القديمة.

وفي عهده بدأت معالم سياسة المرينيين تتضح، بحيث ظلت لصيقة بالهموم التي حددها يوسف بن تاشفين وسار عليها الموحدون بعد ذلك: إنها مشكل توحيد المنطقة (الأندلس والمغربين الأوسط والأدنى) والمشاكل الداخلية (ثورات وتمردات القبائل). وستستمر على طول عمر الدولة وستساهم في استنزافها وتدميرها.

على الجبهة الأندلسية لم يكد يعقوب يسيطر على مراكش حتى تقاطرت عليه وفود الأندلس للاستنجاد والتذكير بواجب الجهاد في الأندلس، فاستجاب بسرعة بحثا عن الشرعية الجهادية وإقناع الرأي العام بقوته وقدرته على تحقيق إنجازات الموحدين قبله. وقاد أربع حملات (674 و676 و681 و684هـ) وحملة بحرية بقيادة ولي العهد عام 678هـ، وبالرغم من الانتصارات التي حققها ونجاحه في الحصول على جزء من الأراضي في الجزيرة الخضراء وطريفة ورندة وجبل طارق، فإن تقلب بني الأحمر وعدم التزام قشتالة بالصلح المعقود معها مرارا وتكرارا والتكاليف الباهظة للحملات قد حد من أهميتها ولم يحقق شيئا أكثر من إعادة إبراز دور المغرب المهم في غرب البحر الأبيض المتوسط.

ولم يواصل خليفته نفس السياسة بحيث اكتفى بحملة وحيدة عام 691هـ ثم تنازل عن الممتلكات المرينية لبني الأحمر وحاول التحالف مع قشتالة ضد تلمسان. واستغلت غرناطة

والإسبان الوضع واحتلت طريفة وسبتة ودعمت ثوارا مطالبين بالعرش المريني. واستمر التراجع المريني في الأندلس حتى 729هـ عندما قام أبو سعيد باسترجاع سبتة وإخضاع بني العزفي وبسط سيطرته على الجزيرة الخضراء وجبل طارق (733هـ) في أفق إعادة الوهج للجهاد في الأندلس. وفي عهد أبي الحسن نشط الجهاد وحقق بعض الانتصارات، لكن هزيمة طريفة عام 741هـ وضعت حدا للوجود المغربي الرسمي في الأندلس وأصبح المرينيون يقدمون فقط بعض الغزاة يقودهم شيخ الغزاة هناك ويخضعون للدولة النصرية.

على الجبهة المغربية، بايع المرينيون الحفصيين وبالرغم من تحالفهم معهم ضد بني عبد الواد، فقد ظل دورهم تحكيميا بين الطرفين. وكان الصراع مع بني عبد الواد عائليا وحدوديا وسياسيا وبدأ منذ حربهما مع الموحدين. وبعد دخول مراكش حاصر يعقوب المنصور تلمسان، لكنه اضطر إلى فك حصاره بعد تحالفها مع تونس ولجوء الطرفين إلى إيواء الثوار ضد المرينيين. وقد تكرر الحصار ودام مرة ثماني سنوات (698-706هـ) وانتهى باغتيال أبي يعقوب بمدينة المنصورة التي أقامها على أبواب تلمسان وفك أبي ثابت الحصار بعد ذلك. وفي عهد أبي سعيد عقد الصلح مع تلمسان وحصل تحالف ومصاهرة مع تونس. ولما تولى أبو الحسن نشط مغاربيا وضم تلمسان عام 747هـ وتونس عام 748هـ، لكنه سرعان ما فقدهما مع عرشه، وعاد أبو عنان وضم العاصمتين لوقت قصير.

على الجبهة الداخلية، عانى بنو مرين من اضطرابات داخلية دائمة. ففي الجنوب كان لسكساوة وحلفائها من المصامدة وقبائل المعقل نشاط مستمر تطلب حركات متكررة للسلاطين. وكان الأمراء المرينيون مصدر قلق حيث حصلوا على المدن والأقاليم على شكل إقطاعات وتصرفوا فيها بحرية وأياد مطلقة. وكان الريف ملجأ للثوار لقربه من غرناطة وقشتالة وأراغون التي تقدم الدعم لكل ثائر. وثار بعض الأبناء على آبائهم كما فعل أبو على مع أبيه أبي سعيد عثمان في سجلماسة وتوات بدعم أراغوني (المرتزقة في فاس) ونفس الشيء قام به أبو عنان ضد أبيه أبي الحسن عام 748هـ. وكانت هذه المشاكل تكبل أيدي السلاطين وتؤثر على سياساتهم.

## 4-تدهور وضعف المرينيين

بعد وفاة أبي عنان أو اغتياله تدهورت الأوضاع بسرعة كبيرة في المغرب، واتخذت الأزمة مظاهر عديدة أهمها:

- هيمنة الوزراء على الحكم: تولية وعزل السلاطين باستمرار، فقد حكم بعد أبي عنان سبعة عشر سلطانا اغتيل منهم سبعة وعزل خمسة. وكان أولهم السعيد (1358-1374م) الذي أغرق في صهريج.
- فرض غرناطة وصايتها على الدولة وتدخلها في شؤونها خاصة في عهد محمد الخامس (1374-1393م)، وقد أخذ جبل طارق ووضع حامية له في سبتة، كما فرض توجيهاته على الوزراء الذين نفذوها، ودعم الثوار متظاهرا بلعب دور الحكم.
- تدخل إيبيري في البلاد: في 1399م دخل هنري الثالث الإسباني تطوان ونهبها وباع سكانها في سوق النخاسين بمبرر طرد القراصنة. واحتل البرتغال سبتة عام 1415م وفشلت جهود أبي سعيد الثالث (1398-1420م) في استعادتها بعد أن تكبد هزيمتين آخرهما عام 1419م.
- انقسام البلاد إلى عدة مناطق مستقلة في الريف وسوس وتافلالت، وزاد استقلال القبائل ونفوذها (تافلالت ودرعة والأطلس الكبير)، كما ظهرت أسر حاكمة مستقلة في الجنوب (هنتاتة في مراكش)
- ثورة فاس عام 1420م التي قضت على أبي سعيد الثالث وكل أسرته عدا طفل صغير هو عبد الحق (1420-1465م) الذي صار آخر الحكام المرينيين تحت وصاية أبي زكرياء يحي الوطاسي وأثنان من أفراد أسرته.
- ثورة شعبية في فاس ضد إصلاحات عبد الحق المالية وإشراكه اليهود في إدارته سنة 1465م، وقد تسببت في قتل عبد الحق وتعيين الجوطي الإدريسي خليفة، لكنه كان ضعيفا واقتصر نفوذه على فاس مما سهل القضاء عليه من قبل محمد الشيخ الوطاسي عام 1472م ليؤسس الأسرة الوطاسية خليفة المرينيين.

وتعود أسباب ضعف المرينيين إلى:

- ضعف القاعدة الإثنية (قبيل بني مرين)
- انعدام مذهب ديني على غرار ما هو معروف عند المرابطين والموحدين
- الاضطرابات التي خلقها بدو العرب مما اضطر الدولة إلى ترضيتهم (المصاهرة – الاقطاعات – التحالفات السياسية)
- جيش ضعيف وقليل الولاء.

**خاتمة**

تولى المرينيون السلطة في ظروف مضطربة ودون استعداد خاصة على الصعيد الفكري، وقد ظل هذا النقص ملازما لهم طيلة عمر دولتهم وشكل عقدة لهم حاولوا حلها بعدة وسائل دون النجاح في ذلك. وقد كان غياب البعد الإيديولوجي أحد أسباب ضعف الدولة وقلة ولاء الرعية مما يمكن أن يفسر كثرة الثورات والاضطرابات.

# الحفصيون، الزيانيون والمرينيون

## الأندلس وشمال إفريقية بعد سقوط الموحدين في مطلع القرن الرابع عشر للميلاد

ملحق: **الحكام المرينيون**

## ملحـق رقم ( ٧ )

## جداول بأسماء الخلفاء والسلاطين والحكام الذين عاصروا الدولة المرينية

### أ – بنـو مريـن

| | | |
|---|---|---|
| ١ – | أبومحمد عبدالحق بن أبى خالد محيو بن أبى بكر ابن حمامة المرينى . | ( ٥٩٢ هـ / ١١٩٥م ) |
| ٢ – | ابوسعيد عثمان بن عبدالحق ( أدرغال ) | ( ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م ) |
| ٣ – | محمد ( الأول ) بن عبدالحق | ( ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م ) |
| ٤ – | أبو يحيى أبوبكر بن عبدالحق | ( ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م ) |
| ٥ – | أبو يوسف يعقوب بن عبدالحق | ( ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م ) |
| ٦ – | أبويعقوب يوسف بن يعقوب ، الناصر لدين الله | ( ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م ) |
| ٧ – | أبوثابت عامر بن أبى عامر | ( ٧٠٦ هـ / ١٣٠٦ م ) |
| ٨ – | أبوالربيع سليمان بن أبى عامر | ( ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م ) |
| ٩ – | أبوسعيد عثمان ( الثانى ) بن يعقوب | ( ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م ) |
| ١٠ – | أبوالحسن على بن عثمان | ( ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م ) |
| ١١ – | أبوعنان فارس المتوكل بن على | ( ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م ) |
| | أبوزيان محمد بن فارس أبى عنان ( ولى ثم عزل فى الحال ) | ( ٧٥٩ هـ / ١٣٥٧ م ) |
| ١٢ – | محمد السعيد بن أبى عنان (وعمره خمس سنوات) | ( ٧٥٩ هـ / ١٣٥٧ م ) |
| ١٣ – | أبو سالم إبراهيم بن على | ( ٧٦٠ هـ / ١٣٥٨ م ) |
| ١٤ – | أبوعامر تاشفين بن على | ( ٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م ) |
| ١٥ – | عبدالحليم بن أبى على عمر ( انفرد بسجلماسة منذ ربيع الأول سنة ٧٦٣ ) | ( ٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م ) |
| ١٦ – | أبوزيان محمد ( الثانى ) المنتصر ابن أبى عبدالرحمن | ( ٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م ) |
| ١٧ – | أبو فارس عبدالعزيز المستنصر بن على | ( ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م ) |
| ١٨ – | أبو زيان محمد ( الثالث ) السعيد بن عبدالعزيز | ( ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م ) |

| | | |
|---|---|---|
| ١٩ — | (أ) أبوالعباس أحمد المستنصر بن إبراهيم ومعه | ( ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م ) |
| ١٩ — | (ب) عبدالرحمن أبويفلوسن ( بمراكش ) | ( ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م ) |
| ٢٠ — | موسى بن أبي عنان ، المتوكل على الله أبوفارس . | ( ٧٨٦ هـ / ١٣٨٤ م ) |
| ٢١ — | أبو زيان محمد المنتصر بالله بن أحمد | ( ٧٨٨ هـ / ١٣٨٦ م ) |
| ٢٢ — | أبو زيان محمد ( الرابع ) الواثق بالله ابن أبي الفضل المستنصر ، ( للمرة الثانية ) | ( ٧٨٨ هـ / ١٣٨٦ م ) |
| ٢٣ — | أبوفارس بن أحمد | ( ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م ) |
| ٢٤ — | عبدالعزيز بن أحمد | ( ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م ) |
| ٢٥ — | عبدالله بن أحمد | ( ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م ) |
| ٢٦ — | أبوسعيد عثمان ( الثاني ) بن أحمد | ( ٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م ) |
| ٢٧ — | أبومحمد عبدالحق بن أبي سعيد ( الثاني ) | ( ٨٣١ هـ / ١٤٢٧ م ) |

**خاتمة عامة**

عرفت الفترة الممتدة من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجريين تعاقب ثلاث دول على حكم المغرب. وتميزت بطبيعتها المحلية إذ أسست على يد بربر/ أمازيغ من الكنفدراليات البربرية الثلاث صنهاجة ومصمودة وزناتة التي تكون سكان المغرب. وجمعت هذه الدول نقط تشابه كثيرة خاصة ما يتعلق بالأسس التي قامت عليها وهي الأساس القبلي العرقي والأساس الديني بالخصوص. وامتاز مشروعها الحضاري بالتكامل والاستمرارية حتى إننا نستطيع أن نقول إننا أمام دولة واحدة. وتشابهت هموم هذه الدول أيضا حيث ارتبطت بالدفاع عن الأندلس وتوحيد الشمال الإفريقي وإخماد الثورات الداخلية من الأبناء والأغراب على حد سواء. وقد كانت هذه الهموم العوامل الرئيسية التي حطمتها وأنهت تجربتها في آخر المطاف.

./.